الفصل الرابع

التعليم فى ليبيا فى عهد الاحتلال الايطالى والظروف المحيطة به من عام ١٩١٠م إلى عام ١٩٤٣م

مقدمة :

عنى هذا الفصل – الرابع – بحالة التعليم فى ليبيا ومدى تأثره بالأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال الايطالى. وبما أن المحتل لم يكن مسلماً فإن تأثيره على التعلم كان قاسياً . ولذلك بدأ الفصل بعد حديث قصير عن كيفية احتلال ايطاليا لليبيا بتفصيل الآثار السيئة التى احدثها هذا الاحتلال الأجنبى على التعليم فى كل مستوياته ومراحله. كما عنى بالأساليب التى أتخذها لاحلال التعليم الايطالى بل والثقافة الايطالية محل التعليم الوطنى والثقافة الليبية.

وحتى الزراعة التى لقيت عناية وحققت تطوراً فى ليبيا فى هذا العهد لم يكن القصد منها نهضة البلاد بقدر ما كان خدمة المستعمر وتعميق أهدافه. وحتى بعض مستويات التعليم الأولية من التعليم الوطنى والتى لقيت بعض العناية ، لم تكن هذه العناية يهدف منها تعليم وتثقيف أبناء الشعب بقدر ما كان يهدف منها غرس اللغة والثقافة الايطالية بين النشئ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لتجنب غضب المواطنين وثورتهم والتوصل إلى إرغامهم على الخضوع للاحتلال.

بل أن بعض عناصر التعليم الوطنى فرضت نفسها على سياسة المحتل التعليمية مما يوضح تبادل التأثير بين التربية وبقية العوامل الثقافية فى هذه الفترة على النحو الذى سيبرزه هذا الفصل.

أولاً : العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى أثرت فى تطور التعليم فى ليبيا فى عهد الاحتلال الايطالى :

١- الظروف السياسية :

لقد كانت ايطاليا تهيئ نفسها لاحتلال ليبيا منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، عندما كان الصراع عنيفاً بين الدول الأوروبية من أجل فرض السيطرة والنفوذ الاستعمارى على المشرق العربى. وقد دخلت ايطاليا ميدان الصراع منذ أن اتضحت معالم وحدتها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وقد طمحت ايطاليا إلى آمال استعمارية منذ أن توحدت فى سنة ١٨٧٠م ، وقد كانت ايطاليا كغيرها من الدول

الاستعمارية كفرنسا وبريطانيا ، تخطط للحصول على مستعمرات فى القرن الأفريقى بجوار البحر الأحمر وشرق وشمال أفريقيا.

لقد كانت الدعوة لاستعمار ليبيا تسيطر على العقلية الايطالية منذ أن بدأت الوحدة الايطالية تتبلور ، إلا أن هذه الدعوة ترسخت أكثر عندما قامت فرنسا باحتلال تونس سنة ١٨٨٠م ثم قامت بريطانيا باحتلال مصر سنة ١٨٨٢ ، وقد سبب الوجود الفرنسي فى تونس والوجود البريطانى فى مصر وعدم تدخل ايطاليا فى احتلال هذين البلدين شعوراً بالمرارة فى ايطاليا وشرعت الصحافة الايطالية تنادى وتدعو بترك (سياسة الايدى النظيفة) لقد تطلعت ايطاليا إلى منطقة البحر المتوسط بدافع العوامل الجغرافية والسياسية والتاريخية وبقصد الاستعمار والاستثمار ، وكانت ايطاليا تعتقد أو تعتبر نفسها دولة سجينة فى البحر المتوسط ، وسجانوها هم منافسوها : بريطانيا وفرنسا ، وهذا طبعاً صحيح إلى حد كبير ففى حين تملك بريطانيا وفرنسا مسالك ومنافذ تجارية تعبر المحيط الأطلنطى بالإضافة إلى البحر المتوسط ، لا يوجد لايطاليا منفذ أخر غير البحر.

«ومن مذكرات بعض الساسة والقادة الإيطاليين وفى المقالات التى نشرتها الصحف الايطالية التى كانت تصدر فى ذلك الوقت يتضح جليا أن جميع القرائن تؤكدان إيطاليا كانت تستعد لغزو ليبيا ، وقد كان تأجيل ذلك الغزو أكثر من مرة يعود فى الغالب إلى أسباب داخلية فى ايطاليا ذاتها ، وخارجية تتعلق بالأوضاع العالمية وما كان يسودها من مناورات ومساومات سياسية بين الدول الاستعمارية الأوروبية»[١] .

لقد كان التاريخ القديم هو وقود المد المتزايد للتيار القومى فى ايطاليا ولم يأل الساسة الايطاليون جهداً بتذكير الشعب الايطالى بأن ايطاليا هى وريثة الامبراطورية الرومانية ، وعلى الاحفاد أن يعيدوا مجد تلك الامبراطورية ، وقد تبنى الكثير من الساسة الايطاليين فكرة غزو ليبيا ونادوا باحتلالها حتى وأن كانت صحراء قاحلة ، فليبيا فى نظر هؤلاء الساسة يجب أن تكون لهم حتي لا يختنقوا فى بحرهم ، كما أن زيادة عدد السكان فى ايطاليا كان من دوافع الغزو الايطالى لليبيا. فبين سنتى ١٨٨٠ و ١٩٠٥م غادر ايطاليا حوالى ثمانية ملايين نسمة إلى الدول الأوروبية الأخرى

(١) نقولاً زيادة ، ليبيا من الاستعمار الايطالى إلى الاستقلال ، مرجع سابق ص ٦٧ .

والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وتونس وليبيا. وبعد سنة ١٩١١م ونتيجة لغزو ايطاليا لليبيا قامت الصحافة الايطالية بتشجيع الهجرة إلى المستعمرة الجديدة ليبيا ، فقد كان وجود مستعمرة قريبة شيئاً ضرورياً ولازماً لاستيعاب الفائض البشرى فى ايطاليا. وبذلك أصبحت ليبيا أمل الايطاليين فى الهجرة والتوسع الزراعى والفرص الاقتصادية.

وقع الغزو الايطالى للأراضى الليبية فى أوائل أكتوبر من عام ١٩١١م حيث استطاعت القوات الايطالية احتلال مدينة طرابلس فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩١١م ومدينة بنغازى فى ١٩ منه ثم توالت سقوط المدن الليبية بأيدى الايطاليين الواحدة بعد الأخرى إلى أن تم لها احتلال كل ليبيا. ولم يكن هذا الغزو عفوياً أو جاء مفاجئاً لكل المهتمين بأمر ليبيا سواء فى ذلك الاتراك الذين كانوا يبسطون سيادتهم على ليبيا والدول الأوروبية المتسابقة لاستعمار أراضى فيما وراء البحار ، أو حتى الشعب الليبى الذى عاش المأساة من بداية تدبيرها وحتى وقوعها.

لم يكن الغزو الايطالى لليبيا أذن شيئاً بعيد الاحتمال فى ظروف كالتى عاشتها ليبيا تحت الحكم العثمانى وفى ظروف دولية هيأت لايطاليا هذه المغامرة الاستعمارية ، حيث كان لهذا الغزو مقدمات ساعدت عليه وأدت إلى حدوثه فى النهاية وتتمثل هذه المقدمات فيما يلى :

أولاً : سياسة الحكم العثمانى فى ليبيا.

ثانياً : التسابق الاستعمارى الأوروبى وأطماع ايطاليا فى أفريقيا.

كما أن تركيا لم تستطع مواصلة الحرب ضد ايطاليا نظراً لبداية الحرب البلقانية ، ولهذا لجأت إلى عقد الصلح معها ، وفى ١٨ أكتوبر عام ١٩١٢م وقعت إتفاقية الصلح بمدينة أوش بلوزان ، ونصت الاتفاقية على أن تسحب تركيا جنودها من ليبيا ، وفى نفس الوقت أعلن ملك ايطاليا أن ليبيا أصبحت خاضعة خضوعاً تاماً للسيادة الايطالية ، وقد انسحبت على الفور القوات التركية من البلاد.

وبالرغم من الصلح فقد استمرت المعارك الحربية فى ليبيا ، فقد رفض الليبيون هذا الصلح وقاموا بتشكيل حكومة محلية لتنظيم الجهاد ضد الايطاليين. وقد ساعد عملية

الجهاد وقيام الحرب العلمية الأولى واشتراك ايطاليا فيها مما دفعها إلى سحب عدد كبير من قواتها فى ليبيا بالأضافة إلى مساعدة الحكومة الالمانية للمجاهدين حيث مدتهم بالأسلحة إلى جانب ما بذله متطوعو البلاد العربية والاسلامية من مساهمة فعالة باستمرار المقاومة.

إلا أن ما أضر بالمقاومة فى هذا الوقت هو استغلال الألمان والاتراك للمجاهدين بأن يهاجموا الانجليز فى مصر من ناحية السلوم بقصد فتح جبهة ثانية أمام الجيش الانجليزى فى مصر ، مما دفع بريطانيا إلى أن تعقد اتفاقية مع ايطاليا للقضاء على المقاومة الليبية ومنعت بريطانيا إرسال المؤن والامدادات من مصر إلى ليبيا إلى جانب انحباس الأمطار ووقوع القحط فى البلاد.

وبعد أنتهاء الحرب العلمية الأولى اتخذت الحرب ضد الطليان شكل حرب عصابات ، وتحمل المجاهدين عبء الدفاع عن بلادهم ، وقاد هذه الحرب شيخ الشهداء عم المختار واستمر فى جهاده ضد الايطاليين إلى أن استشهد فى سبتمبر عام ١٩٣١م حيث أصيبت حركة الجهاد بنكسة كبرى ، وقد اطمأن الايطاليون لهذه الحقيقة واخذوا يعملون على تحقيق الفكرة الفاشية باعتبار ليبيا مستعمرة وامتداداً للأراضى الايطالية ، ولذلك تتابعت الاجراءات لتحقيق هذه الفكرة ، حيث أصبحت البلاد تحكم حكماً دكتاتورياً عسكرياً ، والغيت المجالس التشريعية المحلية وابعد الليبيون عن المناصب الإدارية الحكومية ، كما حرم الايطاليون على العرب تأسيس الاحزاب السياسية أو النوادى الاجتماعية أو إنشاء المطابع وتأسيس الصحف والتأليف إلا بما فيه مصلحتهم.

وفى سنة ١٩٣٤م صدر قانون يجعل البلاد الليبية بأقليميها طرابلس وبرقة جزءاً من المملكة الايطالية ، وصارت المدن الليبية مدناً ايطالية بكل معنى الكلمة ، وسن قانون للرعايا أصبح بموجبه فى ليبيا رعايا ايطاليون كاثوليك ورعايا ايطاليون مسلمون.

تأثر التعليم بالظروف السياسية :

بعد أن خضعت ليبيا للاستعمار الايطالى عام ١٩١١م أخذت سلطات الاحتلال تركز السلطة كلها فى يدها عن طريق الموظفين الايطاليين الذين عينوا فى المراكز

الرئيسية فى مختلف الادارات ، وعن طريق تجميع السلطة فى ايديهم تمكن الايطاليون من أحكام قبضتهم على أمور البلاد ومرافقها. فباحتلال ليبيا أصبح الحاكم العسكرى هو الحاكم الحقيقى للبلاد ويقوم على تنفيذ أوامر الحكومة الايطالية ، والتى تتمثل فى تشريد الليبيين والاستيلاء على أراضيهم واحلال المهاجرين الايطاليين محل الليبيين ، وكان استقدام المهاجرين الايطاليين إلى ليبيا هو الشغل الشاغل للحكومة الايطالية حيث كانوا ينظرون إلى ليبيا على أنها الشاطئ الرابع لايطاليا وبالتالى يجب أن يكون سكان ليبيا ايطاليين.

لقد أقترن الوجود الايطالى فى ليبيا بمصادرة أراضى الليبيين واجبارهم على التنازل عنها ، وإنشاء المستعمرات الايطالية وتشجيع الفلاحين على الهجرة إلى الأرض الجديدة ، وقد ترتب على هذا تشريد الليبيين وهجرة أعداد كبيرة منهم إلى كل من مصر وتونس. وكان طبيعياً أن يتأثر التعليم بكل هذا ، فلم تضع السلطات الإيطالية فى ليبيا برنامجاً متناسقاً لتطوير الليبيين اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتحولت الحكومة فى تلك الفترة إلى جهاز استدادى فاسد ، لهذا فقد ظلت المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والتربوية بدون حل.

وعلى الرغم من إدعاء ايطاليا بأنها جاءت إلى ليبيا لنشر المدنية والحضارة بين الليبيين ، إلا أنها لم توفر إلا تعليماً محدود الليبيين ، وهو ينحصر فى التعليم الابتدائى ، وكانت تهدف من نشر هذا النوع من التعليم إلى مزج الليبيين بالثقافة الايطالية ، حيث كانت السياسة التعليمية الايطالية تستهدف نشر اللغة والثقافة الايطالية بين الليبيين. وقد عارض الليبيون هذه السياسة بشدة ورفضوا إرسال ابنائهم إلى هذه المدارس لأنها تعزلهم عن دينهم وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وهذا الإحجام زاد من تدهور التعليم فى ليبيا.

لقد كان عمل نظام التعليم يسير وفقاً لطبيعة نظام الحكم السائد فى البلاد ، فكانت المدارس مصممة بشكل يوفر للإدارة الايطالية فى ليبيا المهارات التى كانت تحتاجها وبشكل لا يجلب التهديد لمركز الايطاليين وسيادتهم ، لهذا كانت الإدارة التربوية مركزية جداً ولفئة مختارة من الناس فقط ، والمناهج الدراسية وفلسفتها موجهة نحو

المحافظة على الوضع الثقافى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى الراهن للبلاد كما إرادة الايطاليون ، وكان التركيز فى تلك المناهج على القيم التقليدية والولاء للسادة المستعمرين وكان النظام التعليمى مصمماً بشكل لا يؤدى إلى تخريج شباب مستقلين مبدعين ، وإنما لتخريج خدم مطيعين يقومون بتنفيذ الأوامر بدون سؤال أو احتجاج ولا يشكلون خطراً على الحكام.

لقد استخدم الاحتلال الايطالى سياسة التعليم كأداة للقهر الاجتماعى للشعب الليبى ، وذلك بحرمانه من التعليم المدنى الحديث المتطور وذلك بتوفير تعليم شعبى محدود للفقراء غير القادرين على مواصلة السلم التعليمى إلى منتهاه ، وإلى وجود النفوذ الأجنبى فى ليبيا ، ولقد كان ذلك يحد من فرص الترقى الاجتماعى والحراك الاجتماعى بإتاحة الفرص كاملة أمام أبناء الشعب الليبى للحصول على التعليم الحديث والاستزادة به فى تقدم مجتمعهم.

أى أن الاحتلال جعل التعليم طبقياً قاصراً على طبقات بعينها وحرم غالبية الطبقات الشعبية من هذا التعليم الحديث وحصرهم على تعليم الكتاتيب.

ومما زاد من تدهور تعليم أبناء الليبيين أن الناس كانوا مترددين فى ارسال أولادهم إلى المدارس لأنهم كانوا يعتقدون بأن تلك المدارس كانت تهدد نظام القيم الأساسية السائدة فى حياتهم سواء فى الدين أو العادات ، وكانوا يشكون فى جدوى تلك المدارس ويعتقدون بأنها ليست فى صالح الأولاد والبنات لأنها تعزلهم عن دينهم ، وقد كان هذا الاعتقاد راسخاً فى عقولهم والصراع شديد فى نفوسهم حول قيمة الكتاتيب المنتشرة فى قراهم من ناحية ، وقيمة المدارس الحكومية الايطالية الجديدة من ناحية أخرى ، فكانت الكتاتيب ترتبط بالقيم المقدسة القديمة بينما ترتبط المدارس الحكومية بالقيم الأجنبية والنظم الغربية.

وهكذا نرى أنه نتيجة للظروف السيئة السالفة الذكر التى مربها الشعب الليبى ، فقد كان نمو التعليم نمواً بطيئاً ومحدوداً ، وما أن حصلت البلاد على استقلالها حتى وجد المسئولون أن هناك أعداداً كبيرة من أطفال ليبيا لم يدخلوا المدارس ، وحتى أولئك الطلاب الذين اتيح لهم دخول المدارس لم يستفيدوا منها الفائدة المطلوبة. فكان الطراز

الايطالى فى التعليم شائعاً فى مدارس ليبيا ، ويشتمل على أمور إدارية ومنهجية وهيكلية غير قابلة للتطبيق على ظروف الشعب الليبى.

٢- الظروف الاقتصادية :

أ- الزراعة :

(من المعلوم بأنه منذ ظهور الدول الاستعمارية الكبرى فى القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن الحالى كان العالم واقعاً تحت نوعين من الاستعمار :

الاستعمار الرأسمالى والاستعمار الاستيطانى ، ويعتبر تحقيق الربح هو الهدف الرئيسى للنوع الأول حيث يعمل على تهيئة الجو الملائم للطبقة الرأسمالية لتسيطر على مورد البلاد المستعمرة وتتمكن بالتالى من استغلال خيراتها ، وأهم الدول التى لجأت إلى هذا النوع من أشكال الاستعمار هى بريطانيا - هولندا - فرنسا - أسبانيا .

وغاية النوع الثانى من الاستعمار هى تهجير أعداد كبيرة من العائلات من البلد الغازى وتوطينها فى البلدان التى تتم السيطرة عليها بقوة السلاح وتتكون أغلب هذه العائلات من فلاحين معظمهم كانوا عاطلين عن العمل فى بلدانهم) [١] . لقد تبنت إيطاليا النوع الثانى من أنواع الاستعمار وهو محاولة استيطان أكبر عدد ممكن من العائلات الايطالية فى المستعمرة الجديدة ليبيا ، وعلى الرغم من أن هذه الفكرة كانت من ضمن الأهداف التى دفعت ايطاليا لاحتلال ليبيا إلا أنه لم يبدأ فى تنفيذها فعلياً إلا فى مطلع عام ١٩٢٣م أى بعد مرور اثنى عشر سنة من الاحتلال .

وهذا يعود بالدرجة الأولى لعدم استقرار الأوضاع فى ليبيا حيث استمرت حركة الصراع المسلح بين ايطاليا والليبيين لفترة زمنية طويلة تجاوزت توقعات الخبراء العسكريين الايطاليين ، لقد عرقل هذا الصراع طموحات ايطاليا الاستيطانية فى ليبيا مدة طويلة ، بعد أن أستتب الأمن واستقرت الأمور خاصة بأقليم طرابلس بدأت التفكير جدياً فى استصلاح الأراضى الزراعية وتحويل البلاد من الزراعة القديمة التى يمارسها السكان المحليون إلى زراعة حديثة تنقل إليها من أوروبا .

---

(١) محمد مصطفى الشركسى ، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية فى ليبيا ، الدار العربية للكتاب ١٩٧٦ ص ٦٧ .

(كانت ايطاليا تهدف من وراء عملية الاستيطان هذه إلي توطن ٣٠٠ ألف مزارع فى المرحلة الأولى وإلى أن يصل إلى ٥٠٠ ألف سنة ١٩٤٠ وذلك لموازنة السكان الوطنيين ولجعل ليبيا بلداً ايطالياً ولتدعيم سيطرة ايطاليا الاستراتيجية على جانب البحر المتوسط ، وكانت تعتقد أن نجاح استعمار ليبيا سيقوى ايطاليا لضم مزيد من المناطق الاستعمارية ، واعتبرت المستوطنين مصدراً لتجنيد جيش للغزو والتوسع) [١] .

ولتحقيق هذه الأهداف أصدرت ايطاليا عدداً من القوانين التى تمنحها حق الاستيلاء على الأراضى ، فقد صدر فى فبراير سنة ١٩٢٣م مرسوم ولائى اعلن بموجبه تملك الدولة لجميع الأراضى الفضاء فى طرابلس من البحر حتى الجبل ونتيجة لهذا المرسوم تملكت الدولة مساحات من الأراضى بلغت مائة الف هكتار ، ومنحت هذه الأراضى إلى أصحاب الامتيازات الذين يملكون رؤوس أموال ، وقد نظم المرسوم المذكور العلاقة بين الدولة وبين الأشخاص والشركات التى تمنح لهم أراض زراعية بحيث يلتزم صاحب الامتياز بالعمل على تنمية الأراضى التى خصصت له خلال مدة معينة عن طريق زراعتها بعليا وزراعة جزء منها بطريقة الرى .

ولقد تتابعت بعد ذلك صدور القرارات التى تهدف للاستيلاء على أكبر قدر من أراضى الليبيين وتمليكها للمهاجرين الايطاليين حيث صدر قرار فى يوليو سنة ١٩٢٣م بمصادرة املاك الثوار تبعه قرار آخر يحق للحكومة الاستيلاء على الأراضى التى تعتبرها ضرورية للمنفعة العامة ، وكانت هذه الأراضى توزيع على المهاجرين إما بتأجير الأرض لقاء أجرة تدفع سنوياً ، مع إمكانية شرائها فيما بعد ، وإما أن تملك له فوراً مقابل دفع نصف الثمن فيما بعد ، ولا يصبح الشخص مالكاً للأرض إلا بعد أن يسدد قيمتها ويقوم باحيائها كلياً .

وهكذا اعتبرت ليبيا منذ صدور هذه القوانين مقاطعة إيطالية يجب احيائها كي تمتص الفائض السكانى فى ايطاليا التى تعانى من كثافة سكانية ، وقد استطاعت إيطاليا أن تحقق الكثير من الانجازات الزراعية ، وقد ذكر الدكتور الشركسى فى كتابه «لمحات عن الأوضاع الاقتصادية فى ليبيا» أهم هذه الانجازات ، (تم انشاء ٨٤٠ مزرعة تبلغ

---

(١) جون رايت ، تعريب عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازورى ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

مساحتها ١٩٧,٧٤٩ هكتاراً ، وبلغت مساحة الأراضى التى غرست بالأشجار حوالى ٧٢٠٠٠ هكتار ، أما العائلات التى تم توظيفها فقد بلغ عددهم ٢٠٣١ عائلة من بينها ١٠٣٥ عائلة تم توطينها خلال الفترة ١٩٣٤ – ١٩٣٧م وبلغت الاعانات الحكومية للقطاع الخاص نحو ٦٢ مليون ليره إيطالية) [١] .

« أحرز الايطاليون نجاحاً هاماً فى مجال نظرتهم إلى موضوع الاستيطان والتنمية الزراعية ، لقد أثمرت جهودهم فى تغير وجه جزء من الأرض الليبية ، التى ما كان لها لتتم لولا ما انجزوه من طرق للمواصلات (طرق معده وخطوط سكك حديد) وما اكتشفوه من مصادر للمياه وما قاموا به من تجارب ، وما أصبح متوفراً لديهم من معلومات وما بدلوه من جهود وما انفقوا من أموال قدرت بأكثر من مئة وخمسين مليون دولار بقيمة سعر ما قبل الحرب العالمية الثانية » [٢] .

ولكن الذين يجب أن نشير إليه أن كل هذه الانجازات وهذه المكاسب كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى المستوطنين الجديد ، أما أصحاب الأرض فقد عانوا الكثير من جراء هذا الاستيطان حيث سلبت أراضيهم وتم أبعادهم إلى الدواخل حيث المناطق الأكثر جفافاً وأقل خصوبة وقد ترتب على هذه السياسة عدة نتائج يمكن تلخيصها فى الآتى :

– أن الظروف الاقتصادية السيئة التى احاطت بالليبيين دفعت الكثيرون منهم إلى الهجرة إلى الدول المجاورة كمصر وتونس وتشاد حيث لا تزال بعض الجاليات الليبية تقيم هناك حتى اليوم .

– معظم الليبيين هم مزارعون ورعاة ، ولما ضاقت بهم سبل الحياة فى مناطقهم الزراعية والرعوية نتيجة لسياسة الاستيطان هاجر الكثير منهم إلى المدن للبحث عن عمل فى أى مجال ، وقد أرغم الكثير منهم على الانخراط فى الجيش الايطالى حتى يتمكنوا من كسب قوتهم .

زيادة عدد السكان الرحل واشباه الرحل نتيجة لمصادرة أراضيهم والحاق الضرر بثروتهم الحيوانية . على الرغم من أن هذه الأعمال التى قام بها الايطاليون فى المجال

(١) محمد مصطفى الشركسى ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

(٢) الهادى أبو لقمة ، الاستعمار الاستيطانى فى ليبيا ، جامعة الفاتح ١٩٨٤ ، ص ٨٥ .

الزراعى كانت فى حينها من أجل تمكين أكبر عدد ممكن من المستوطنين ولم تكن من أجل استقرار وتطوير السكان المحليين ، وعلى الرغم من الكثير من السلبيات التى ترتبت على تلك السياسة إلا أننا نستطيع أن نقول أن ما تركه الايطاليون خاصة فى المجال الزراعى هو ثروة ما فى ذلك شك استفاد منها الليبيون فيما بعد استفادة كبيرة ، فعندما انهزم الايطاليون فى الحرب العالمية الثانية وطردوا من البلاد عادت هذه الأرض إلى أصحابها الأصليين ، وللدلالة على استفادة الليبيين من هذه الانجازات نورد هنا ما ذكره الدكتور أبو لقمة « نحن نعلم أنه باستثناء محصولى الشعير والقمح اللذين يزرعان على طريقة الزراعة التقليدية ، وبعض محاصيل الخضروات المحدودة فإن جملة الانتاج الزراعى غير الحيوانى يأتى كله من المزارع الايطالية النشأة والتى أصبح معظمها الأن ملكاً لمزارعين ليبيين » [1] .

ب- الصناعة :

أما فى مجال الصناعة فقد ظهرت بعض الصناعات الجديدة التى لم تكن معروفة من قبل أو كانت معروفة على نطاق ضيق ، وتظهر احصاءات عام ١٩٣٨م بأن ٥٢٣٩ عاملاً كانوا يشتغلون بالصناعات الحرفية فى اربع مدن رئيسية هى طرابلس وبنغازى ودرنة ومصراته منهم ١٩٣٩ عاملاً ايطالياً و ٣٣٠٠ عاملاً ليبياً .

« رغم أن قطاع الصناعة بقى صغيراً فى حجمه فأنه يمكن اعتبار عام ١٩٢٤م عاماً فاصلاً فى تاريخ نشوء الصناعات الحديثة فى ليبيا ، ففى هذه السنة انشئ مصنع التبغ تلته مصانع انتاج الغاز فى عام ١٩٣١م وبدأت أحدى الشركات الايطالية فى عصر الزيت بطرق آلية حديثة كما ظهرت المصانع الحديثة ومن ثم بدأت المصانع الصغيرة ذات الآلات الحديثة فى الظهور » [2] .

ومن الجدير بالذكر أن ظهور الصناعة الحديثة جاء نتيجة لعدة عوامل أهمها :

تحسن الأحوال الزراعية فى عهد الايطاليين حيث بلغت مساحة الأراضى الزراعية التى تم استغلالها وتعميرها من قبل الايطاليين حوالى ٢٢٥ ألف هكتار ، كذلك زيادة

(١) الهادى أبو لقمة ، دراسات ليبية ، دار الفكر طرابلس ، ص ٢٧ .

(٢) محمد المبروك المهدوى ، جغرافية ليبيا البشرية ، جامعة قاريونس بنغازى ، ١٩٩٥م . ص ٢٠٧ .

عدد الجالية الايطالية وبالتالى زيادة فى الطلب على السلع المصنعة فقد بلغ عدد الايطاليين فى ليبيا فى عام ١٩٤١ نحو ١١٥ ألف نسمة هذا بالإضافة إلى شق الطرق وتحسين مبانى طرابلس وبنغازى وانشاء محطات للكهرباء فيها ، « كما قامت الحكومة الايطالية باستثمارات مباشرة فى تنمية الصناعة بلغت حوالى ١٩١ مليون ليرة ايطالية فى الصناعات المتعلقة بالزراعة والصيد البحرى وحوالى ٣٧ مليون ليرة فى الصناعات المتعلقة بالمنسوجات والجلود وصناعة الورق » [١] . بالإضافة إلى الأساليب الفنية التى جاء بها الايطاليون من أوروبا الصناعية ولو أنها بسيطة لكن كان لها الأثر الأكبر فى وضع أسس الصناعة الحديثة فى البلاد وتطورها فى تلك الفترة .

جدول رقم (١٢) [٢]

يظهر التوزيع الجغرافى للمنشآت الصناعية الحديثة عام ١٩٣٨م

المدينـــــة	ايطاليـة	ليبيه	المجمـــوع
طرابلس	٤١٤	١٣٥	٥٤٩
بنغازى	١٣٧	–	١٣٧
درنه	٦٦	–	٦٦
مصراته	٢٢	١٥	٣٧
المجموع	٦٣٩	١٥	٧٨٩

ومن الجدول يتضح : أن الصناعة تركزت فى أربع مدن رئيسية هى طرابلس وبنغازى ودرنه ومصراته ، وكانت طرابلس وحدها المركز الصناعى الهام ، فقد استحوذت على أكثر من ثلث عدد المنشأت ، وهذا يعود إلى أهميتها السياسية والاقتصادية كمركز رئيسى للإدارة والتجارة وإلى زيادة عدد سكانها بالإضافة إلى قربها من ايطاليا وسهولة الحصول على الآلات والمواد الخام الصناعية .

---

(١) على أحمد عتيقة ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٢) بنك ليبيا ، النشرة الاقتصادية ، سبتمبر / أكتوبر عام ١٩٧٠م ص ٨ .

تأثر التعليم بالظروف الاقتصادية :

على الرغم من نجاح الايطاليين فى تحقيق نجاحات هامة فى استصلاح الكثير من الأراضى الزراعية ، حيث اثمرت جهودهم فى تغير وجه جزء من الأرض الليبية ، وذلك بفضل ما بذلوه من جهد وما انفقوا من أموال. إلا أن هذه الانجازات وهذه المكاسب كانت موجهة لصالح الايطاليين أنفسهم لتشجيع المهاجرين على الاستيطان فى الأرض الجديدة ، أما أصحاب الأرض الحقيقيين فقد عانوا الكثير من جراء سياسة الاستعمار حيث سلبت أراضيهم وتم أبعادهم إلى المناطق الداخلية الأقل خصوبة ، مما دفع الكثير منهم إلى ترك مهنته ومهنة أجداده والهجرة إلى المدن للقيام بالأعمال المتواضعة التى لا يرضى الايطاليون الاشتغال بها. وبالإضافة إلى الهجرة الداخلية هناك أعداد كبيرة هاجروا إلى الدول المجاورة كمصر وتونس.

وما ينطبق على الزراعة ينطبق أيضاً على الصناعة حيث قاوم الايطاليون أى مشروع وطنى لإنشاء المصانع حتى يجعل الصناعة حكراً للمستوطنين الايطاليين.

وهكذا عاشت ليبيا فى تلك الفترة تجربة مروعة استنزفت فيها كل امكانيات الثروة الوطنية لصالح المستوطنين الذين سيطروا على اقتصاديات البلاد. وهكذا حكم على الليبيين أن يعيشوا فى القرن العشرين باقتصاديات العصور الوسطى ، تلك الاقتصاديات الراكدة المتخلفة التى ترتب عليها انخفاض مستوى المعيشة والعديد من المشكلات الاجتماعية والصحية والثقافية ، ولا يمكن لاحد مهما اختلفت جنسيته أو نظرته ، أن يقول سوى أن سياسة الاحتلال الاستعمارى قد دفعت الليبيين إلى التأخر وبدأت تظهر بينهم أعراض الأمراض الاجتماعية الثلاثة ، الفقر والجهل والمرض ، وفى ظل هذه الأحوال السيئة أهمل التعليم.

لقد بقيت أهداف التعليم كما كانت عليه من قبل : إعداد لموظفى الحكومة المتوسطى الكفاءة واقتصر مفهوم التعليم الابتدائى على مجرد محو الأمية ونظر إليه الاحتلال على أنه نوع من التعليم الرخيص لتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحساب دون إهتمام بإعدادهم للحياة أو تربيتهم تربية قومية صحيحة.

وكان من الطبيعى أن ينتشر الجهل بين الليبيين ، ولا تتحسن نسبة الأمية فى ليبيا

بأكثر من ٥٪ خلال ٣٢ سنة من الاحتلال ، إذ بلغت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة ٤,٨٤٪ سنة ١٩١٠م ، أرتفعت إلى ١٠٪ تقريباً على حسب تقديرات سنة ١٩٦٤م.

ومجمل القول أن الظروف الاقتصادية السيئة التى عاشها الليبيون فى ظل الاحتلال الايطالى لم تساعدهم على الالتفاف إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس ، وهذا ما كان يسعى إليه الاحتلال الايطالى.

٣- الظروف الاجتماعية :

لقد تدهورت حالة الأمة الاجتماعية تدهوراً بالغاً بالاحتلال الايطالى حيث أنه لم يوجه أى أهتمام للاصلاح الاجتماعى ، وبذلك لم تتقدم حالة الشعب الاجتماعية فى عهد الاحتلال بل ساءت ، مما دفع الكثير من الليبيين إلى الهجرة خارج البلاد خاصة بعد أن وصل الحزب الفاشى إلى الحكم ومارس سياسة الإبادة ضد الايطاليين.

ومن ينظر إلى الظروف الاجتماعية للمجتمع الليبى فى عهد الاحتلال الايطالى يجد نفسه أمام تركيبة اجتماعية كان يتكون منها المجتمع الليبى حينذاك وكانت تتكون من الفئات الاجتماعية التالية :

فئة المتعاونين مع الاحتلال :

عندما استقرت الأمور للاحتلال الايطالى ظهرت فئة من المنتفين التفت حول المستعمر تحمل أفكاره وتؤيد وجوده فى ضوء الفكرة المتداولة لديهم بأن ايطاليا أتت للتطوير وتحضير الليبيين ، كما أن هذه الفئة كانت تحمل أسلوب الايطاليين وتتحدث لغتهم وتجيدها إجادة تامة ، وكان لهذه الفئة سلطان وجاه لدي قوات الاحتلال لأنها بدرجة أو أخري كانت تخدم مصالحه.

فئة عام الشعب :

حيث كان السواد الأعظم بتكون أساساً من الفلاحين المضطهدين وبجوار هؤلاء كانت هناك اعداد من العمال لا بالمعنى الحديث لهذه الكلمة وإنما بمعناها الواسع الذى يجعلها تشمل الحرفيين وعمال الورش والمصانع الصغيرة والمتاجر الصغيرة.

فئة المثقفين :

ولو أنها فئة صغيرة إلا إنها تمثل قوة ثورية لعبت الدور القيادى فى الحركة الوطنية وحركة النهوض الاجتماعى والاقتصادى والثقافى ، والمثقفون كانوا يتكونون من أجنحة متعددة ، كالطلبة وأصحاب المهن الحرة والموظفين ولذلك ينظر إليهم على إعتبار أنهم فئات أو شرائح اجتماعية تنتمى إلى مختلف فئات المجتمع.

ولقد أضيرت كل هذه الفئات من الاحتلال الايطالى ما عدا فئة واحدة هى التى لم تضارمن الاحتلال وهى فئة المنتفعين من الاستعمار ، وبالعكس فقد حققت منافع كبيرة من جراء تعاونها مع المستعمر ولهذا لم يكن لارتباطها بالاستعمار شيئاً مستغرباً بل هو الناتج الطبيعى لوضعها الاقتصادى الانتهازى.

وقد استغل الاستعمار هذا الواقع وجعل منها القاعدة التى يقف عليها فى احتلال البلاد ، والايدى الاثمة التى يحكم بها الشعب.

الفئة المتوسطة :

لقد انصرفت هذه الفئة إلى الحياة النفعية والتفتت إلى مصالحها الخاصة فلم يعد على البلاد من جهودها أية فائدة.

لقد ساءت حالة أغلبية الشعب فى عهد الاحتلال ، فالاحتلال بسياسته التعليمية قد حال دون تعليمهم وتهذيبهم وتثقيفهم ، فحرموا نور التعليم والتربية الاخلاقية والدينية ، وساءت حالتهم المادية والمعنوية ، وفقدوا مع الزمن اخلاق الصدق والوفاء ، وأهمل الاحتلال حالتهم المادية والصحية فأنتشرت فيهم الأمراض.

ثانياً : تطور التعليم فى ليبيا فى عهد الاستعمار الايطالى (١٩١١- ١٩٤٣) :

تمهيد :

«لقد مر تاريخ الاستعمار الايطالى فى ليبيا بمرحلتين هامتين : تبدأ أولهما من وقت نزولهم أرض ليبيا عام ١٩١١م وتنتهى عند الوقت الذى تسلم فيه الفاشستيون زمام الحكم فى ايطاليا فى أكتوبر ١٩٢٢م ، أما المرحلة الثانية فتستمر من عهد الانقلاب الفاشستى إلى وقت قيام الحرب العالمية الثانية ، ثم زوال دولتهم نهائياً من ليبيا أى حوالى عشرين عاماً من سنة ١٩٢٢ إلى عام ١٩٤٣م.

لقد سلكت ايطاليا عدة سبل من أجل تحقيق هدفها فى السيطرة على ليبيا كان أهمها فتح مجموعة من المدارس المجانية فى مدينتى طرابلس وبنغازى ، بهدف جذب الشباب إليها ، وصبغه ثقافياً ، وفكرياً واجتماعياً بصبغة ايطالية. كما أغرقت ايطاليا البلاد بسيل من الكتب والصحف والمجلات والوسائل الإعلامية الصحافية ، والنشرات الإعلامية لتؤثر فى أفكار الشعب وتجد به نحو ايطاليا»[1].

كذلك شجعت ايطاليا البعثات التبشيرية المسيحية على التوجه إلى ليبيا ، كما أرسلت إليها البعثات العلمية فى ظاهرها ، ولكنها فى حقيقتها كانت مكلفة بنشاط استعمارى محض ، حيث قامت هذه بالأبحاث اللازمة لتنفيذ خطة الغزو والاستيلاء على البلاد ، وكذلك شجعت ايطاليا الأفراد والأسر من الشعب الايطالى على الهجرة إلى ليبيا والاستقرار بها ، هذا بالإضافة إلى أن مصرف روما قد لعب دوراً خبيثاً للتمهيد لغزو البلاد ، فقد فتح المصرف فرعاً له فى ليبيا سنة ١٩٠٥م واتخذ وسيلتين مهمتين للسيطرة على الاقتصاد الزراعى فى البلاد : إحداهما شراء الأراضى الزراعية بأثمان مغرية ، وثانيهما الأقراض بشروط سهلة ميسرة أغرقت كثير من الناس فى الديون ، وكل ذلك الأقراض نظير رهن أرضهم الزراعية للمصرف.

«وقد حصلت ايطاليا على موافقة كل من انجلترا ، وفرنسا ، وروسيا ، والمانيا على تصرفاتها هذه ، كما وافقت النمسا على ذلك بشرط ألا تتعدى العمليات الحربية منطقة

(١) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

الشمال الأفريقى، [1] .

وبذلك أصبح الجو بعد هذه الموافقة الأثمة ملائماً لايطاليا لكى تخطو خطوتها فى طريق الاحتلال الفعلى.

السياسة التعليمية فى ليبيا فى عهد الاستعمار الايطالى :

منذ وقوع الاحتلال الايطالى فى ليبيا عام ١٩١١م وتخادل تركيا وتسليمها البلاد له فى معاهدة لوزان عام ١٩١٢م لتكون من بعد ذلك مستعمرة ايطالية ، أخذ الايطاليون يعملون منذ اللحظة الأولى للسيطرة على البلاد بطريقتين استعمارتين هما : تشجيع الهجرة وطلينة الثقافة والتعليم ، ومن ثم توقفت جميع الجهود التعليمية التى بدأت قبيل الاحتلال ، بينما تركت المناطق التى صعب على الايطاليين السيطرة عليها فى تعليم تقليدى محدود هو تعليم الكتاتيب ، وقويت هذه الوسائل الاستعمارية فى المناطق التى نزحوا إليها.

وقبل الحديث عن التعليم وأنواعه التى كانت موجودة فى ذلك العصر ، فسوف يعرض الباحث أهم الملامح العامة للسياسة التعليمية والتى يمكن إيجازها فيما يلى[2] :

١- لقد حاول الاستعمار الايطالى فى ليبيا القضاء على جميع المظاهر الدينية إلى جانب القضاء على اللغة العربية ، وكان ذلك واضحاً فى التعليم حيث اتضحت فيه محاولة طمس معالم العروبة فى البلاد ، بالإضافة إلى أن الايطاليين كانوا يتخذون بعض الاجراءات التى تبرز استهانتهم بالشعائر الدينية ، وفى نفس الوقت لم يتورع الايطاليون فى إبراز الديانة المسيحية وكانوا يضعون الصليب على المدارس ويرسمونه على الكتب المدرسية ، وعلى المكتبات الرسمية. بالإضافة إلى ما سبق فإن جميع المدارس التى أنشأتها ايطاليا ليتعلم فيها أبناء الشعب الليبى نظارها من الايطاليين ، ولم يسند منصب مدير أى مدرسة إلى مواطن ليبى ، بل أن المعلم الليبى كان يعتبر أقل منزلة من المعلم الايطالى ، وكان عمله مقصوراً على تدريس اللغة العربية والتربية الدينية فقط ، بينما

(١) محمد مصطفى زايدان ، ايديولوچية الثورة الليبية ، دراد الاندلسى بنغازى ، ١٩٧٣ ، ص ١٤ .

(٢) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

تركت جميع المواد الأخرى للمعلم الايطالى ، ويدل هذا على أن المعلم الليبى كان مساعداً فقط للمعلم الايطالى فى تربية المواطنين الليبيين.

٢- على الرغم من أن ليبيا بلد زراعى فإنه لم تتح الفرصة لأى مواطن ليبى للتخصص فى الزراعة الحديثة ، بل أكثر من هذا اغلقت المدرسة الزراعية التى كانت موجودة فى سيدى المصرى بطرابلس ، ولم تفتح خلال هذا العهد ، وأيضاً فقد أغلقت مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية الموجودة منذ سنة ١٨٩٧م والتى سبق الحديث عنها ، وقد أعيد افتتاحها فى العام الدراسى (١٩١٣ - ١٩١٤) ولكن حسب النظام التى وضعه لها الايطاليون بحيث سمحوا لابناء الايطاليين بالالتحاق بها ، ولقد أصبحت لغة التعليم فيها هى اللغة الايطالية ، وعينت ايطاليا أحد المهندسين الايطاليين مديراً لها ، وقد افتتحت مدرسة أخرى على نفس النظام فى بنغازى سنة ١٩١٩م.

٣- كانت المناهج فى المدارس التى يتعلم فيها ابناء الليبيين متشابهة إلى حد كبير مع نفس المناهج التى كانت تطبق فى المدارس الايطالية فى المدن الايطالية ، وذلك لأنها من وضع الايطاليين أنفسهم ، وقد كان التلميذ الليبى يدرس كل شئ عن ايطاليا قبل أن يعرف شيئاً عن وطنه ليبيا ، كما كان يتعلم أن ليبيا مستعمرة ايطالية ، وكل هذه الاجراءات قصدها محو الشخصية العربية الليبية.

٤- لم يكن هناك أى نوع من أنواع التعليم العالى فى ليبيا فى هذا العهد ، وذلك باستثناء المدرسة الاسلامية العليا التى اعتبرت من أهم انجازات تلك الفترة ، واستمرت لمدة غير قصيرة كمادة للدعاية الفاشستيه فى الداخل والخارج ، وتم افتتاح هذه المدرسة فى سنة ١٩٣٦م وكان الهدف منها تخريج علماء فى الدين الاسلامى وأساتذة فى اللغة العربية وادابها ومتخصصين فى شتى فروع المعرف الاسلامية ، وكانت مجهزة بوسائل وتسهيلات تمكنها من تدريب بعض الطلاب لتولى وظائف فى الإدارة الحكومية ، إضافة إلى تحقيق هدف سياسى وهو صرف الطلاب عن الذهاب إلى مصر لإستكمال دراستهم فى الأزهر حيث إمكانية اتصالهم بالحركة السياسية المعارضة فيها ، وكان ينفق عليها من أموال

الأوقاف وتبرعات الأهالى ومساعدات الحكومة ، وكانت مقسمة إلى ثلاث مراحل ، إعدادى ومدته ثلاث سنوات ، وأوسط ومدته أربع سنوات وعالى ومدته ثلاث سنوات ، والأوسط ينقسم إلى فرعين أحداهم لأعداد المعلمين والآخر لإعداد الموظفين ، وكانت تدرس فيها المواد الدينية من فقه وتجويد وتفسير وتوحيد وحديث ، والمواد الاجتماعية من تاريخ وجغرافيا ، والمواد الرياضية من حساب وهندسة ومسك دفاتر ، بالإضافة إلى اللغة الايطالية وبعض المواد الأخرى كالمنطق وأصول التعليم ، والمرافعات القضائية. وكانت اللغة العربية لغة التدريس فيها ، ولم تتمكن هذه المدرسة من تحقيق رسالتها حيث أغلقت أبوابها أثناء الحرب العالمية الثانية وتوقفت نهائياً بانتهاء الحكم الايطالى. بإستثناء هذه المدرسة العليا لم يكن هناك وجود للتعليم العالى فى ليبيا وكان يرسل من يريد مواصلة هذا النوع من التعليم إلى إيطاليا ، وكان ذلك مقصوراً على الايطاليين فى الغالب لأن ظروف الليبيين الاقتصادية السيئة كانت تمنعهم من إرسال أبناءهم للدراسة فى جامعاتها.

٥- «لم تهتم السلطات الايطالية بالتعليم فى فزان إلا فى السنوات الأخيرة للحكم الايطالى ، وقد تمثل هذا الاهتمام فى بناء عدة مدارس عام ١٩٣٥م» [١] بيدان السياسة التعليمية الايطالية فى ليبيا تحولت تحولاً واضحاً تحت الحكم الفاشى فأصبحت أكثر ضراوة فى محاربتها للغة العربية والدين الإسلامى كجزء من السياسة الايطالية فى ليبيا بصورة عامة.

فلم يعترف الايطاليون إلا بالايطالية كلغة رسمية فى معاملاتهم ، وأهملوا التعليم الدينى وصبغوا المناهج الدراسية والكتب التعليمية بالصبغة الفاشستية وتمجيد زعيمها موسولينى.

«لقد أنشأت ايطاليا سنة ١٩٣٥م منظمة الشباب العربى لتدريب الشابب الليبى من سن ٦ - ٢١ سنة على المبادئ الفاشية وتحويلهم بعد تشريهم للعقيدة الايدلوجية الفاشية إلى جنود عاملين فيها ، وكان كل طالب عربى ملزم

---

(١) رأفت غنيمى الشيخ ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ بتصرف.

بالالتحاق بها وكانت توزع عليهم الملابس السوداء المميزة للفاشست مجاناً ترغيباً لهم ، وكانت هذه المنظمة تضم فرعين : فرع للأولاد وأخر للبنات ، وتأسست منظمة الشباب العربى الفاشى بعد تأسيس منظمة الشباب الفاشستى فى إيطاليا مباشرة.

وكانت هذه المنظمة تستهدف ما يأتى :

- تدريب الأطفال من الناحية الجسمية والخلقية والعسكرية.
- مراقبة الدراسة بالمدارس والعمل على نشر الثقافة الفاشية بالتعاون مع السلطات التعليمية.
- تنظيم معسكرات صيفية والقيام بالرحلات وأعمال الكشف والجوالة وبعض الأعمال الاجتماعية كرعاية المرضى.

وكانت هذه المنظمة تضم جميع التلاميذ من بنين وبنات من بين السادسة حتى الحادية والعشرين، والإنضمام إلى هذه المنظمة شرط أساسى للاستمرار فى الدراسة»[1].

تلك هى بعض الملامح العامة للسياسة التعليمية فى العهد الايطالى ، التى توضح مدى الفرص التعليمية التى كانت متاحة لأبناء الشعب العربى الليبى ، والتى كانت تعتبرها ايطاليا اسرافاً وتدليلاً لشعب المستعمرة.

ملامح الحياة التعليمية فى فترة الاستعمار الايطالى :

١- الفلسفة الاستعمارية للتعليم.

- توفير تعليم أجنبى حديث لعدد ضئيل من أبناء الشعب الليبى فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وكان الهدف من هذه المدارس تخريج الموظفين وبعض الفنيين ذوى الثقافة المحدودة.
- توفير تعليم شعبى لأبناء الشعب الليبى على مستوى المرحلة الأولى فى عدد من الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة والحساب والقرآن الكريم.

(١) حسن سليمان محمود ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .

- قامت الحكومة الايطالية بدراسة الوضع الاجتماعى والتعليمى فى ليبيا وحاولت إخضاعه للقوانين الايطالية المعمول بها فى ايطاليا وذلك ليتلائم مع ضرورة الاحتلال والسياسة التوسعية التى أتبعتها ايطاليا فى ليبيا.

وقد وجدت الإدارة الايطالية صعوبة بالغة فى تطبيق نظام الحكم ونظام التعليم الايطالى فى ليبيا وذلك نظراً للاختلاف الواضح بين ما تريد الحكومة الايطالية أن تطبقه فى ليبيا وبين ظروف ومظاهر الحياة الاجتماعية فى ليبيا كبلد عربى إسلامى.

أن الاصلاح التعليمى الذى قامت أو حاولت ايطاليا أن تقوم به كان الهدف منه تقوية السيطرة الايطالية على ليبيا ، وقد حاولت الحكومة الايطالية عن طريق وسائل الدعاية الرسمية تبرير تطبيق القوانين ونظم الإدارة الايطالية وحتى العادات الايطالية فى ليبيا وذلك بدعوى نشر الحضارة والتقدم فى ليبيا ومن أجل توحيد ليبيا كمستعمرة تحت الإدارة الايطالية .

٢- السلم التعليمى :

يتضمن السلم التعليمى فى ليبيا أثناء الاحتلال الايطالى مراحل تعليمية متعددة منها التعليم الشعبى والذى كانت تقوم به الكتاتيب ، والتعليم العام الذى شمل التعليم الابتدائى والتعليم الثانوى والتعليم الفنى.

أولاً : التعليم الأولى الشعبى :

أهتمت سياسة الاحتلال التعليمية بتوفير تعليم شعبى رخيص فى الكتاتيب القديمة التى كانت لا تكلف الدولة الكثير من المال ، وقد أوهمت سلطات الاحتلال الشعب الليبى أنهم ينشرون التعليم وييسرونه للفقراء والكادحين باهتمامهم بالكتاتيب ، ولذلك أصدرت قرار فى عام ١٩١٥م بإخضاع الكتاتيب للإدارة الايطالية وأصبحت تدفع مرتبات للفقهاء والمدرسين والقائمين على هذه الكتاتيب.

ثانياً : التعليم العام الحديث :

لقد كان غرض الاحتلال الايطالى من التعليم عموماً والتعليم الابتدائى والثانوى

خصوصاً هو إعداد طبقة من موظفى الدولة وبهذا لن يتمكن خريجوا هذه المدارس من الإستفادة من دراستهم سوى فى الأعمال الكتابية فى دوائر الدولة فى الوقت الذى كانت البلاد فيه فى حاجة ماسة إلى مثقفين يعملون فى أعمال البناء والهندسة والصحة ، وتشغيل وإدارة المصانع ، وتصليح الآلات الميكانيكية وغيرها. لهذا فإن مجرد الحصول على التعليم لن يكن كافياً لتطوير البلد ، وإنما المهم هو ما نوع ذلك التعليم الذى حصل عليه ذلك الشاب.

١- التعليم الابتدائى :

كانت مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية خمس سنوات ، قسم أولى مدته ثلاث سنوات وآخر علوي مدته سنتان ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية والدين الاسلامى والتاريخ والجغرافيا بالإضافة إلى اللغة الايطالية والعلوم الطبيعية ، ويحصل التلميذ فى نهاية هذه المرحلة على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية.

٢- التعليم الثانوى :

كانت مدة الدراسة بالمدرسة الثانوية خمس سنوات وهى ذات مرحلتين أحداهما عامة ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ومرحلة خاصة ومدة الدراسة بها سنتان ، وكان الطلبة يلتحقون بها بعد الحصول على الشهادة الابتدائية ، وأشتمل منهج المدرسة الثانوية على اللغة الايطالية واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والحساب والجبر والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعى والصحة. وهناك نوع آخر من التعليم الفنى إلى جانب التعليم النظرى ، فقد أعيد فتح مدرسة الفنون والصنائع ، ومدرستان متوسطتان للزراعة وتراوحت مدة الدراسة بها من ثلاث سنوات إلى خمس سنوات.

أنواع التعليم التى كانت موجودة فى عهد الإحتلال الإيطالى للبلاد

أولاً : التعليم فى المرحلة الأولى للاحتلال الايطالى (١٩١١ - ١٩٢٢م) :

وتنقسم هذه المرحلة بالنسبة للتعليم إلى فترتين :

١- «فترة التعليم فى الأراضى غير المحتلة. وقد تميزت بما يلى :

- إستمرار التعليم العربى الأهلى فى الكتاتيب ، والزوايا ، والمعاهد الدينية ، والمدارس الملحقة بالمساجد. وإن كان الإقبال عليه قليلاً بسبب الإنشغال بأمور الجهاد ضد الغزاة الايطاليين ، وعودة النشاط إليه فى السنوات الأخيرة من هذه الفترة ، يعد صدور القانونين الأساسيين لطرابلس وبرقة عام ١٩١٩م اللذين مكنا دور التعليم فى الأراضى المحتلة من ممارسة نشاطها.

٢- فترة التعليم فى الأراضى المحتلة. وتميزت بما يلى :

- إهتمام ايطاليا بأبناء جاليتها فى ليبيا وانشاء المدارس العديدة لهم نتيجة لازدياد هجرة الإيطاليين إليها ، وأغلاق مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية ، وبيع مطبعتها وآلاتها الميكانيكية ، ولم تفتح أبوابها إلا فى سنة ١٩١٣م ، وأيضاً تحويل المعاهد والمدارس الأهلية إلى مجرد كتاتيب»[١].

- بالإضافة إلى ذلك عملت على طلينة الثقافة فى ليبيا بإحلال التعليم الإيطالى محل التعليم النظامى ، وتدريس المواد باللغة الإيطالية واستخدام المدرسين الإيطاليين ، وتسيير المدارس وفقاً لنظام وخطط المدارس المناظرة فى ايطاليا.

« وأهم ما يتميز به التعليم فى تلك الفترة هو الاضطراب وقلة إقبال التلاميذ العرب عليه للأسباب المشار إليها أنفاً ، ويمكن القول أن التعليم فى الأراضى المحتلة فى تلك الفترة كان تعليماً إستعمارياً مصبوغاً بالصبغة الايطالية ، وذلك فضلاً عن عدم

---

(١) رأفت غنيمى الشيخ ، تطور التعليم فى العصور الحديثة ، مرجع سابق ص ١٩٨ .

إستقراره بسبب كثرة القوانين المنظمة له وكثرة التغيرات التى طرأت على إدارته ، فهو تارة يخضع لسلطات الاحتلال ، وتارة يخضع لوزارتى المعارف والمستعمرات الايطالية ، ثم يعود تارة أخرى للخضوع للإدارة الايطالية فى ليبيا ، وذلك كله بهدف خدمة أغراض الإستعمار دون مراعاة لرغبات المواطنين العرب أصحاب البلاد » [١] .

موقف الإستعمار الإيطالى من التعليم الأهلى :

«لقد تنازع تربية الناشئين فى هذه الفترة لونان من التعليم ، لون حاول التعبير عن الثقافة العربية الذى تمثل فى تعليم الزوايا والكتاتيب القرآنية ، ولون آخر يعبر بشدة عن نزعة الإستعمار لإصدار التشريعات والقوانين الجائرة . » فى عام ١٩١٤م صدر قانون بموجبه تكونت مدارس ايطالية عربية تدرس فيها جميع المواد ماعدا اللغة العربية – باللغة الايطالية – وفى عام ١٩١٥م صدر القانون رقم (٢٥٠) الذى أخضع الكتاتيب للادارة الإيطالية» [٢] .

« وفى عام ١٩١٧م صدر القانون رقم (٤٦٩) الذى فصلت بموجبه إدارة التعليم وزارتى المعارف والمستعمرات الإيطالية وأصبحت تابعة للسلطة المحلية فى ليبيا ليتاح لها حرية توجيه التعليم توجيهاً مباشراً.

وفى يونيو من نفس العام صدر القانون رقم (٢٤٠١) وقد تضمن ما يأتى :

حرية التعليم الخاص (الأصلى) والإكتفاء بالإشراف عليه من قبل الدولة ممثلا فى السلطات التعليمية الايطالية ، وقد اعيد فتح الكتاتيب والمعاهد والزوايا بمقتضى ذلك.

- إلزامه التعليم الابتدائى مع قصورها بالنسبة للمسلمين على الذكور فقط.
- إستخدام اللغة العربية لتدريس جميع المواد.
- منع استخدام التعليم فيما قد يسيئ إلى العقيدة الإسلامية وبمقتضى ذلك لا يستخدم التعليم فى أغراض التبشير » [٣] .

---

(١) وزارة التعليم والتربية : إدارة التخطيط والمتابعة ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٢ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٣ .

- وبمقتضى هذا القانون عدل منهج المرحلة الإبتدائية وانشئت مدارس ثانوية ذات مرحلتين.

١- مرحلة عامة مدتها ثلاث سنوات.

٢- مرحلة تالية مدتها سنتان : وهى تنقسم إلى شعبة فنية وشعبة عامة تؤهل للتعليم العالى. وكان التعليم بالمدارس الثانوية باللغة العربية بإستثناء اللغة الايطالية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية فهى باللغة الايطالية ، وقد كان عدد الطلاب العرب فى المدارس الثانوية ضئيلاً جداً فى العام الدراسى ١٩٢١ - ١٩٢٢م إذ بلغ ستة طلاب ، وبلغت جملة الطلاب غير العرب بهذه المرحلة ٣٤٢ طالباً.

وفى ٥ نوفمبر من عام ١٩٢٢م توجت المكاسب الوطنية بصدور أول قانون للتعليم نتيجة الجهود الأهلية ، حيث حددت المادة الأولى منه أنواع المدارس التى يدرس فيها المسلمون وهى الكتاتيب ، والمدارس الابتدائية ، والمدارس الابتدائية الوسطى والمدارس الابتدائية العليا ، والمدارس الصناعية ، والمدارس الزراعية ومدارس التعليم النسوى ، وطبق هذا القانون فى نفس العام الذى صدر فيه بعد إدخال تعديل واحد فيه هو إعتبار اللغة الإيطالية مادة قائمة بذاتها وتدرس باقى المواد باللغة العربية.

« وقد بلغ عدد المدارس فى العام الدراسى ١٩٢٢ - ١٩٢٣م ٨٨ مدرسة »[١] .

جدول رقم (١٣)

يوضح عدد المدارس فى العام الدراسى ١٩٢٢ - ١٩٢٣م

المرحلـــــة	الجملـــة
المدارس القرآنية.	٦٦
المدارس الابتدائية.	١٤
المدارس الثانوية الفنية.	٨
الجملـــــة	٨٨ مدرسة

(١) نفس المرجع السابق ص ١٣ .

وكان عـدد المـدارس الإبتـدائيـة الايطالـيـة فى العـام الدراسى ١٩٢٠ - ١٩٢١م كما يلى :

١- فى طرابلس : (٧ مدارس ابتدائية) : مدرستان للبنين ، ومدرستان للبنات ، وثلاث مدارس مختلطة.

٢- فى بنغازى : (٣ مدارس إبتدائية) : مدرسة للبنين ، وأخرى للبنات ، وثالثة مختلطة.

وكان المنهج المطبق بهذه المدارس هو نفس المنهج فى مثيلاتها بإيطاليا ، ولم تكن المدارس الثانوية والفنية موجودة بطرابلس حتى نهاية الحرب العالمية الأولى تقريباً ، لأن الآباء الايطاليين الذين كانوا يعيشون فى ليبيا كانوا يرسلون ابناءهم لإستكمال تعليمهم الثانوى ، والفنى والعالى فى إيطاليا ، حتى صدور المرسوم الملكى رقم (٢١٥٥) فى فبراير من عام ١٩١٧م بتأسيس أول مدرسة ثانوية فنية فى ليبيا مقرها طرابلس ، ثم تليها مدرسة أخرى فى بنغازى ، ومدة الدراسة بها خمس سنوات[١] .

(١) رأفت غنيمى الشيخ ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

جـدول رقـم (١٤)

يبين عدد التلاميذ فى المدارس النظامية فى ليبيا فى المرحلة الأولى من الاستعمار الايطالى [١]

السنة الدراسية	ابتدائى نظامى عربى	ابتدائى نظامى ايطالى	ثانوى عربى إيطالى ويهودى	فنى عربى إيطالى ويهودى	الجملة
١٩١١ – ١٩١٢م	٩٩	٣٧٣	٥٤	١١٩	٦٤٥
١٩١٢ – ١٩١٣م	٣١٣	١٩٠٨	٩٩	١٠٨	٢٤٢٧
١٩١٣ – ١٩١٤م	١٠٣١	١٧٢١	١٣٤	١١٥	٣٠٠١
١٩١٤ – ١٩١٥م	٧٢٥	١٤٤٧	٢٢٦	١٢٤	٣٠٢٢
١٩١٥ – ١٩١٦م	٢٨٧	٢١٣٧	٢٠١	١٥٩	٢٧٨٤
١٩١٦ – ١٩١٧م	٤٢٢	٢٢٣١	٢١٥	١٨٣	٣٠٥١
١٩١٧ – ١٩١٨م	٥٠٦	٢٠٧٦	٢٢٠	١٨٦	٢٩٩٤
١٩١٨ – ١٩١٩م	٧٧٩	٢٠٦٦	٢٨٩	١٧٠	٣٣١٣
١٩١٩ – ١٩٢٠م	٥٥٨	٢٢٦٨	٢٨٥	١٩٧	٣٣٠٨
١٩٢٠ – ١٩٢١م	٥٧١	٢٣١٩	٣٤٢	٢١٥	٣٤٤٧
١٩٢١ – ١٩٢٢	٦١١	١٨٥٨	٣٤٢	٢٤٣	٣٠٥٤

وهذا الجدول لا يشمل المدارس الابتدائية اليهودية النظامية ، وكذلك لا يشمل أيضاً الكتاتيب والمعاهد الدينية.

(١) وزارة التعليم والتربية ، إدارة التخطيط والمتابعة ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

المدارس الثانوية فى العام الدراسى ١٩٢١ – ١٩٢٢م لم يكن بها سوى ستة طلاب ليبيين ، بينما كان عدد الطلاب اليهود بها ٦٦ طالباً وعدد الطلاب الإيطاليين بها ٢٧٠ طالباً ، والمدارس الفنية فى العام الدراسى ١٩٢١ – ١٩٢٢م كان بها ١٥٠ طالباً عربياً و ٤٨ يهودياً و ٤٥ طالباً ايطالياً ، وكان عدد الطلاب العرب فى المدارس فى العام الدراسى ١٩٢١ – ١٩٢٢م ٢٥٥٩ طالباً عربياً منهم ١٧٩٢ طالباً فى الكتاتيب والزوايا والمعاهد الدينية ، و ٦١١ فى المدارس الابتدائية .

وعندما نتأمل بيانات الجدول رقم (١٥) فإننا نلاحظ ما يلى :

١- «الأعداد الكبيرة المتزايدة سنة بعد سنة من التلاميذ الايطاليين يدل دلالة واضحة على إزدياد التوسع فى المدارس الابتدائية الايطالية ، كما يدل أيضاً على تزايد أعداد الايطاليين الذين يفدون على ليبيا سنة بعد اخرى بقصد الاستعمار الاستيطانى .

٢- عدم تزايد أعداد الليبيين فى المدارس العربية بمرور السنين يوضح أن حركة الجهاد ومقاومة الليبيين للإيطاليين لها أثرها فى انتظام أبناء العرب الليبيين فى المدارس التى أنشأها الاستعمار الايطالى لهم .

٣- هذا بالإضافة إلى عدم توفر فرص التعليم الثانوى ، وكذلك الفنى للطلاب الليبيين وحرمانهم من هذا النوع من التعليم ، فى الوقت الذى يتضح لنا من خلال الجدول السابق توفر فرص التعليم الثانوى والفنى أمام الايطاليين المقيمين فى ليبيا ، وكذلك توفير هذاالنوع من التعليم لليهود أيضاً .

والجدول التالى يؤكد عدم توفر فرص التعليم الثانوى لأبناء الليبيين»[١] :

جدول رقم (١٥)

السنة الدراسية	٢١ / ١٩٢٢	٢٥ / ١٩٢٦	٣٠ / ١٩٤١	٣٤ / ١٩٣٥	٣٨ / ١٩٣٩
عدد الطلاب العرب	٦	٧	٥	٢٠	١٣٤

(١) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١١٣ .

ثانياً : التعليم فى المرحلة الثانية للإحتلال الايطالى ١٩٢٢ - ١٩٤٣م:

«غير أن هذه الصحوة سرعان ما أصيبت بنكسة شديدة عندما قفز الحزب الفاشستى إلى مراكز الحكم فى ايطاليا وأخذ يعمل على بسط سطوته على ليبيا ليحولها بالقوة إلى جزء من ايطاليا ، حيث اتخذ الاستعمار الفاشستى من محاربة التعليم الدينى الوطنى ليحل محله تعليم ايطالى مفروض ، فقد أغلق الزوايا السنوسية وأغلق أيضاً جامعة الجغبوب وصادر ممتلكاتها وأحرق مكتبتها ، وحاربت السلطات الايطالية الكتاتيب والمدارس القرآنية ، بل اسقطت الكتاتيب من تشريعات التعليم وأغلقت جميع المدارس الخاصة بالليبيين فيما عدا المدارس الإبتدائية ومدرسة الفنون والصنائع الاسلامية بطرابلس وبنغازى اللتين كان الايطاليون يسخرون ضريجيها فى وظائف حسب مشيئتهم ، ولم يبْقَ فى البلاد أى مدرسة إعدادية أو ثانوية لتعليم الليبيين ، فأوقفت صرف المكافآت لمدارس الكتاتيب فساء حالها ، كما حوربت أيضاً الإتجاهات التى كان يلجأ إليها المواطنون فى إرسال ابنائهم للتعليم فى الجامع الأزهر بمصر وفى جامع الزيتونه بتونس»[١] .

«وقد اتخذ الأستعمار الايطالى الفاشستى فى هذا السبيل عدة اجراءات منها :

أنشأ مدرسة إسلامية عليا فى طرابلس عام ١٩٣٥م وحث المواطنين على الحاق ابنائهم بها ، ولكن المواطنين كانوا يشكون فى هذه النوايا وأيضاً تشككوا فى هذه المدرسة وما تقدمه لابنائهم من تعليم ، مادامت فلسفة التعليم مبنية على طلينة الثقافة الاسلامية العربية ، وهل يمكن أن تقدم ايطاليا تعليماً اسلامياً حقيقياً للمواطنين الليبيين بعد أن نصبت على مدخل المدرسة صليباً ، لقد انصرف الليبيون عنها وأخذوا يتحايلون فى إرسال ابنائهم إلى الجامع الأزهر بمصر ، وقد أغلقت هذه المدرسة عام ١٩٤٢م مع نشوب الحرب العالمية الثانية ، حيث لم تجد الاقبال من المواطنين الليبيين عليها.

وإلى جانب ذلك أخذ القنصل الايطالى فى مصر يراقب الطلبة الليبيين الوافدين إلى مصر ومحاولة التضيق عليهم بحيث لا يكون لهم نشاط آخر غير التعليم الدينى فى الأزهر ، وفى نفس الوقت اهتم الايطاليون بتنمية التعليم الايطالى وبفتح المدارس التى عنيت فقط بنشر الثقافة الايطالية والتى تقوم بتدريس جميع المواد باللغة الايطالية عدا القرآن الكريم واللغة العربية»[٢] .

(١) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٢) رأفت غنيمى الشيخ ، تطور التعليم فى العصور الحديثة ، مرجع سابق ص ٢٢٨ .

، وبذلك شهد التعليم الايطالى نمواً مطرداً ، فبينما كان عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس عام ١٩٢٤م (ثلاثة آلاف طالب) صار هذا العدد عام ١٩٣٨م (ثلاثة عشر الف طالب)[١] .

وأصبح فى كل مدرسة نوعان من التعليم : نوع ايطالى وآخر عربى ، وجعلوا للمعلم الايطالى كل السلطة لكى يدير المدرسة كيفما شاء ، فنجاح التلميذ أو رسوبه متوقف على تقرير المعلم الايطالى وحده ، وبذلك صار ابناء الليبيين فى هذه المدارس يرغمون على دراسة كل المواد المقررة بها حتى الغناء الايطالى ، والنشيد الفاشى.

«وكانت مدة الدراسة فى المدارس الابتدائية خمس سنوات ، وكان الايطاليون يدعون أن هذا النوع من المدارس مخصص لتعليم اللغة العربية إلى جانب الايطالية بينما كان ابناء العرب يلقنون مبادئ الكتابة والقراءة وشيئاً قليلاً من القرآن الكريم والحساب وبعض القواعد العربية البسيطة ، ولم تتح الفرصة لأبناء العرب الليبيين بعد الانتهاء من هذه المرحلة الالتحاق بالمدارس الثانوية التى يجرى فيها التعليم باللغة الايطالية ، إلا فى حالات استثنائية تمثل فئة قليلة من أبناء العرب المتعاونين مع الفاشست ، وبالرغم من أن التعليم المتاح للعرب كان قليلاً فإن الليبيين العرب لم يقبلوا على التعليم الايطالى لعدم ثقتهم فى أهدافه»[٢] .

«ولكى تغرى سلطات الفاشست الليبيين بالحاق ابنائهم بالمدارس الايطالية جهزت مدارسها بالأثاث الفخم ، وأكثرت من الأجهزة التعليمية الحديثة مثل الإذاعة المدرسية والأفلام السينمائية وغيرها ، فى الوقت الذى حرمت المدارس العربية الابتدائية التى سمح لها بالبقاء من هذه التجهيزات ، وبالإضافة إلى هذا فقد كانت المناهج والكتب مصبوغة بالصبغة الفاشستية ، وكانت المواد القومية مقصورة على التاريخ والجغرافيا ، فيما يخص ايطاليا وحدها ، وهى تمثل فكرة استعمارية الهدف منها : أبعاد المواطنين عن معرفة تاريخهم ، وتاريخ بلادهم العربية والاسلامية»[٣] .

وكذلك عدم معرفة الشباب بجغرافية بلادهم ، شأن كل إستعمار يريد أن يستعمر

---

(١) وزارة التربية والتعليم ، تطور التعليم فى ليبيا ، البحث رقم (١) فى بحوث وفد ليبيا فى مؤتمر وزارة التربية والتعليم والوزراء المسئولين عن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربية ، طرابلس ٩ – ١٤ أبريل ١٤٦٦ ص ٨ .

(٢) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٦ .

بلاداً فيحرص على أن ينسيها تاريخها ، وقد كان النظام الفاشستى يفرض على الطلاب أن يرتدوا ملابس مدرسية خصصها الفاشست لهم ، وكانت المدارس تتولى صرف هذه الملابس للطلبة الذين كان عليهم الالتحاق بالمعسكرات والمنظمات ، كل هذه التصرفات الفاشستيه الاستعمارية تمثل حلقة تضاف إلى سلسلة سيئاته الكثيرة التى تتمثل فى القضاء على الروح الوطنية وإذلال العنصر الوطنى العربى الليبى.

« ويمكن أن نتبين مدى الحرمان الذى عاناه الشعب الليبى ، إذا علمنا أنه فى سنة ١٩٣٦م لم يكن للعرب إلا (٥٦ مدرسة) ليس بينها مدرسة ثانوية واحدة ، بينما هناك (٤٤ مدرسة) للايطاليين تمثل مختلف المراحل والتخصصات ، وقد كانت العناية كلها موجهة إلى المدارس الايطالية من حيث الأجهزة والأثاث والأدوات اللازمة ، فى حين أن المدارس العربية كانت مهملة من كل الوسائل التى تساعد على التعليم الجاد » [١] .

- وقد أهتم النظام الفاشستى بإيجاد تعليم ثانوى لأبناء الموظفين الإيطاليين المدنيين وضباط الجيش لكل يواصلوا تعليمهم فى ليبيا وذلك بدون أن يتحمل أولياء أمورهم تكاليف أرسالهم إلى إيطاليا ، بينما حرمت ايطاليا أبناء البلاد من التعليم الفنى التكنولچى والصناعى ، بل حاربت هذا النوع من التعليم.

« ونظراً لتزايد أعداد وصول المعمرين الايطاليين المستعمرين إلى ليبيا فقد أعدت سلطات الاحتلال الايطالى لهم قرى فى الأراضى الليبية التى قامت بأغتصابها من المواطنين الليبيين ، وفتحت لكل قرية مدرسة وزودتها بالمعلمين ، فكان طبيعياً أن يزيد عدد تلاميذ المدارس من (٩٦١١) تلميذاً ايطالياً فى العام الدراسى ١٩٣٦ - ١٩٣٧ ليصبحوا عام ١٩٣٨م « ١٠٦٤٨ » تلميذاً ثم أصبحوا عام ١٩٣٩م « ١٢٠٤١ » تلميذاً ايطالياً ، بينما كان عدد التلاميذ الطليان عام ١٩٢٤ هو « ٣٠٠٠ » تلميذ. وقد كانت مدارس العرب المماثلة. الابتدائية - عام ١٩٢٤م تضم نحو « ١٠٠٠ » تلميذ أصبحوا عام ١٩٤٣ « ٦٠٠٠ » تلميذاً تقريباً » [٢] .

---

(١) أحمد على الفنيش ، المجتمع الليبى ومشكلاته ، دار مكتبة النور طرابلس . ١٩٦٧ ، ص ٣٧ .

(٢) رأفت غنيمى الشيخ ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

« وفى سنة ١٩٣٩م بلغ عدد المدارس الخاصة بالعرب فى برقة (٣١) مدرسة مجموع الطلاب فيها (٢٢٤٥) تلميذاً منهم (٢٠٩٥) تلميذاً ، و (١٥٠) تلميذة ، وهذا أقصى حد بلغة تعداد المدارس والطلاب فى العهد الإيطالى فى برقة »[١].

«ولعل هذا دليل واضح يبين مدى التوسع الكبير فى المدارس الإيطالية ، فى الوقت الذى نجد فيه المدارس العربية لا تجاريها فى هذا التوسع ولم يتفق هذا بطبيعة الحال مع سياسة أى مستعمر خاصة الإستعمار الفاشستى الذى يهدف إلى محو الثقافة العربية الإسلامية وإحلال الثقافة الإيطالية محلها»[٢].

أنواع المدارس التى كانت قائمة فى المرحلة الثانية من الإستعمار الإيطالى :

أولا : المدارس العربية :

« ابقى هذا النوع من التعليم المدارس الإبتدائية ذات الصفوف الخمسة التى كانت موجودة فى المرحلة الأولى من الإستعمار الإيطالى ، وهذا النوع من المدارس ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ومدة الدراسة به ثلاث سنوات.

القسم الثانى : ومدة الدراسة به سنتان.

وفى كلا القسمين كانت تدرس اللغة الإيطالية ، وبذلك كانت هذه المدارس بهذا التنظيم التعليمى هى نفس المدارس الإبتدائية الإيطالية العربية التى كانت موجودة فى المرحلة الأولى من الإستعمار الإيطالى باستثناء بعض التغييرات التى حدثت فيها وهى كما يلى :

١- إبعاد الأطفال غير المسلمين.

٢- استخدام منهج جديد.

٣- تجديد الوسائل التعليمية لتخدم المنهج الجديد.

---

(١) حكومة ولاية برقة ، نظارة المعارف ، نشرة الإحصاءات التعليمية للعام الدراسى ٥٧ ، ١٩٥٨.

(٢) رأفت غنيمى الشيخ ، تطور التعليم فى العصور الحديثة ، مرجع سابق ص ٢٤٠ .

٤- تدعيم هيئة التدريس[١] .

ولا شك أن هذه التغيرات التى حدثت للمدارس الإبتدائية تتفق مع أهداف السياسة الفاشستية التى سبق ذكرها والتى عنيت بتعليم اللغة الإيطالية من أول صف دراسى إلى حين يلتحق الطفل بالمدرسة مباشرة وهذا طبعاً على حساب اللغة العربية والدين الإسلامى.

وبهذا العرض الموجز للتعليم فى مرحلة الإستعمار الفاشستى وللمدارس الجديدة التى وجدت فى هذه المرحلة يتبين لنا حسب القرار الصادر عام ١٩٢٨م أن المدارس العامة التى كانت متاحة للعرب انقسمت إلى قسمين :

مدارس ابتدائية ومدارس مهنية. أما بالنسبة للشباب المسلم الذى يرغب فى المزيد من التعليم فكان يمكنه الإلتحاق بالمدرسة الثانوية التى لها طابع إيطالى.

وفى الجدول التالى تتبين لنا ضآلة الفرص التعليمية المتاحة للعرب الليبيين فى التعليم الثانوى ، ولم تتح إلا فرص ضئيلة للمواطنين الليبيين بدخول هذه المدارس حيث سمح للمواطنين فقط الذين كانوا يقدمون الولاء للمستعمر وهذا يؤكد أن أغلبية المواطنين رفضوا التعاون مع الإستعمار الإيطالى ، والجدول التالى يؤكد ما سبق الحديث عنه.

جدول رقم (١٦)[٢]

يبين أن أغلبية المواطنين رفضوا التعاون مع الإستعمار الإيطالى

السنة الدراسية	عدد التلاميذ المنتظمين فى المدارس الثانوية
١٩٣٦ - ١٩٣٧	٥٢
١٩٣٧ - ١٩٣٨	٥٣
١٩٣٨ - ١٩٣٩	٥٥
١٩٣٩ - ١٩٤٠	٧٧
١٩٤٠ - ١٩٤١	٤٧

(١) رأفت غنيمى : مرجع سابق، ص ٢٤٢.

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٩.

ثانياً : المدارس اليهودية :

لقد حرص اليهود على أن يلتقوا على هدف واحد مع الإستعمار الإيطالى وهو القضاء على عروبة الشعب الليبى ، وزوال عقيدته الإسلامية وطلينة الثقافة ، ومن هذا المنطلق استمرت مدارس اليهود التى وجدت فى المرحلة الأولى من الإستعمار الإيطالى للبلاد ، وكذلك استمرت مدارس التلمود والمدارس الإبتدائية التابعة للمؤتمر الإسرائيلى العالمى تؤدى دورها دون تدخل من السلطات الإيطالية ، بل يلاحظ أن عدد التلاميذ اليهود إزداد فى هذه المدارس الثانوية والفنية والمهنية ذات الطابع الإيطالى لليهود بإنشاء معهد فنى خاص بمدينة طرابلس تحت إدارة المجتمع اليهودى بطرابلس وذلك بهدف تدريب أبناء اليهود على اكتساب حرف فنية يستطيعون بها التحكم فى النواحى الإقتصادية فى البلاد.

وفيما يلى احصائية تبين عدد المدارس اليهودية وأنواعها التى كانت موجودة فى ليبيا فى العام الدراسى ١٩٣٩ - ١٩٤٠م. وكان مجموع التلاميذ فى هذا العام ٥٠٤٤ تلميذاً.

جدول رقم (١٧)[١]

يوضح عدد المدارس اليهودية وأنواعها فى ليبيا عام ٣٩/ ١٩٤٠م

الإقليم	المدارس الثانوية	المدارس المهنية	المدارس الإبتدائية	التلمود	رياض الأطفال
طرابلس	١	٢	١٧	١٤	٢
برقه	-	-	٢	٣	-
الجملة	١	٢	١٩	١٧	٢

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٩.

ثالثاً : مدارس الجاليات الأوروبية والإرساليات الدينية :

«لقد وفرت سلطات الإستعمار الإيطالى الفاشتى الحماية والدعم الكاملين لهذا النوع من المدارس ، وذلك لأنها تسير فى نفس الخط الذى يسير عليه الإستعمار الإيطالى من حيث نشر الثقافة الإيطالية الأوروبية ، ومحاربة الثقافة العربية الإسلامية ، وذلك بهدف إبقاء السيطرة الفاشستية على الشعب العربى الليبى ، ومن هنا كانت المدارس التبشيرية الكاثوليكية المشبوهة من أول بدايتها فى مرحلة الإستعمار الفاشستى عاملاً مساعداً على نشر الأفكار الفاشستية بين المواطنين ، وقد أشتركت أيضاً المدارس الأوروبية فى محاربة الثقافة العربية الإسلامية ونشر الثقافة الأوروبية»[1].

«ويتضح لنا من البيان التالى عدد مدارس البعثات التبشيرية والجاليات الأجنبية التى كانت موجودة فى ليبيا فى العام الدراس ١٩٣٩ - ١٩٤٠م.

أولا : إقليم طرابلس :

عدد

٢ مدرسة ابتدائية تديرها أخوات المدارس المسيحية.

٤ مدرسة ابتدائية تديرها الأخوات الفرنسيسكانيات وأخوات القديس يوسف.

٨ مدرسة رياض للأطفال تديرها الأخوات الفرنسيسكانيات ، وأخوات القديس يوسف.

ثانيا : إقليم برقه :

عدد

١ مدرسة ابتدائية للبنين يديرها إخوان المدارس المسيحية.

٢ مدرسة ابتدائية للبنات تديرها الأخوات المسيحيات الفرنسيسكانيات.

١ مدرسة ابتدائية مختلطة تديرها الأخوات المسيحيات الفرنسيسكانيات وقد كان هذا النوع من المدارس ينقسم إلى قسمين :

---

(١) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .

الأول : مدارس تشبه فى نظمها ومناهجها المدارس الإيطالية وتشتمل على مدارس للبنين والبنات ، وكان الإستعمار الفاشستى يشجع مثل هذه المدارس ويقدم لها المساعدات.

الثانى: ما يعرف بالمدارس الخاصة ويتبع الجاليات الأجنبية مثل اليونان والمالطيين ، وقد شمل هذا النوع من المدارس : مدارس ابتدائية وكانت قليلة العدد ، ورياض للأطفال»[1] .

«ومن الملاحظ أن سلطات الإستعمار الفاشستى الإيطالى لم تتدخل فى شئون هذه المدارس مثلما تدخلت فى التعليم العربى الإسلامى لأبناء الشعب العربى فى ليبيا.

كما يلاحظ أيضاً أن هذه المدارس التى تحدث عنها الباحث فى الفقرات السابقة كانت لها شخصيتها المستقلة لأنها لم تتعارض مع سياسة الإحتلال الإستعمارى الإيطالى الفاشستى لليبيا»[2] .

رابعاً : المدارس الإيطالية :

وفى الوقت الذى كان الإستعمار الفاشستى فى ليبيا يضيق فرص التعليم العربى أمام أبناء البلاد ، كان يفتح الكثير من المدارس ذات الطابع الإيطالى ، التى تشبه المدارس العاملة.

وقد نظمت هذه المدارس فى ليبيا بناء على المرسوم الملكى رقم ٤٧٢ الصادر فى ٣١ من يناير ١٩٢٤م ، حيث سياسة الإستعمار تقضى بأن يتعلم أبناء الطليان الذين يقيمون فى ليبيا اللغة العربية وعادات أهل البلاد ، بما يتمشى مع سياسة الإستعمار الفاشستى التى غيرت النظرة إلى سياسة التعليم ، وذلك بهدف التأثير فى أبناء الشعب الليبى وصبغهم بالصبغة الإيطالية.

وقد كانت المدارس الإيطالية القائمة فى ليبيا فى مرحلة الإستعمار الفاشستى تشمل الأنواع الآتية :

---

(١) رأفت غنيمى الشيخ ، مرجع سابق ص ٢٥٠ .

(٢) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

أ - مدارس رياض الأطفال.

ب- المدارس الإبتدائية ذات السنوات الخمس الدراسية.

جـ- المدارس الثانوية.

د - المدارس المهنية.

وكان يسمح لتلاميذ المدارس الثانوية بدخول الجامعات الإيطالية فى إيطاليا وكانت هذه المدارس تحصل على ميزانية سنوية من السلطات وكانت المدارس الإيطالية الثانوية أو الإبتدائية ، أو رياض الأطفال تنشأ قديماً للزيادة فى عدد الإيطاليين الوافدين على ليبيا ، لذلك فقد كان عدد المدارس فى نمو مستمر حيث كانت المدارس القائمة فى ليبيا فى العام الدراسى ١٩٣٩ - ١٩٤٠م على النحو الآتى :

جدول رقم (١٨)[١]

المدارس القائمة فى ليبيا فى العام الدراسى ١٩٣٩ - ١٩٤٠

الإقليم	عدد مدارس رياض الأطفال	عدد المدارس الإبتدائية	عدد المدارس الثانوية	عدد مدارس التدريب المهنى
إقليم طرابلس				
إدارة تعليم طرابلس	٨	٤٣	٣	١
إدارة تعليم مصراته	١	٢٦	١	-
إقليم برقه				
إدارة تعليم بنغازى	١	١٢	٢	١
إدارة تعليم درنه	١	١١	١	-
الجملة	١١	٩٢	٧	٢

(١) رأفت غنيمى الشيخ ، مرجع سابق ص ٢٥٣ .

ولعله يتضح أن عدد المدارس الإيطالية فى ازدياد مطرد ، وهذا يفسر ازدياد عدد الإيطاليين فى جميع أنحاء البلاد الليبية ، تمشياً مع السياسة الإيطالية الفاشستية.

ففى عام ١٩٢١ – ١٩٢٢م كان عدد المدارس الإبتدائية الإيطالية بما فيها مدارس البعثات التبشيرية الكاثوليكية ٢٢ مدرسة فقط ، ارتفع عددها فى العام الدراسى ١٩٣٩ – ١٩٤٠م إلى ٩٣ مدرسة وعدد تلاميذها ١٨٢٢١ تلميذاً

وقبل أن ننهى الحديث عن التعليم فى العهد الفاشستى ، نسوق الجدول التالى الذى يوضح مدى الفرص التعليمية التى كانت متاحة للمواطنين الليبيين إذا ما قورنت بالفرص التعليمية التى أتيحت للإيطاليين وغيرهم فى مختلف نواحى التعليم.

obeikandi.com

جدول رقم (١٩)

يوضح عدد التلاميذ فى المدارس النظامية من سنة ١٩٢١ – ١٩٢٢م إلى سنة ١٩٣٨ – ١٩٣٩م[١]

السنة الدراسية	المدارس النظامية الإبتدائية						المدارس الثانوية			المدارس الفنية			الجملة		عدد التلاميذ				
	حكومية وشبه حكومية			خاصة وأهلية									جملة عدد المدارس	جملة عدد المعلمين	جملة	يونان	يهود	عرب	طليان
	إيطالية	عربية	يهودية	إيطالية	عربية	يهودية	إيطالية	عربية	يهودية	إيطالية	عربية	يهودية							
١٩٢٢ / ٢١	١٨٥٨	٦١١	٧٤٢	–	١٧٩٢	٢٢٠	٢٧٠	٦	٦٦	٤٥	١٥٠	٤٨	٦٩	٣٥٩	٥٨٠٨	–	١٠٧٦	٢٥٥٩	٢١٧٣
١٩٢٦ / ٢٥	٢٣٣٧	١٤٤٨	١٦١٧	–	٥٥٧٠	١٢١١	٣٤٢	٧	٩٣	٤٥	٣٧١	٣١	١١٧	٤٠٥	١٣١٢٨	٥٦	٢٩٥٢	٧٣٩٦	٢٧٢٤
١٩٣١ / ٣٠	٢٨٤٥	٣٩٣٣	٢٢١١	–	٥٥٥٥	١٨٦	٣٣٤	٥	٢٧	١٢٧	٤٤٩	١٤٨	٣٤٨	٢٩٨	١٥٨٧٨	٥٨	٢٥٧٢	٩٩٤٢	٣٣٠٦
١٩٣٥ / ٣٤	٥٤٠٥	٣٨٤٠	٢٧٩٠	٤٦٣	٩٨٦٤	١٧٥٨	١٤٣٥	٢٠	٦٤	٤١٢	٥٢٢	٣٢	٦٤٤	٤٦٢	٢٨٦٣٥	٣٠	٤٦٤٤	١٦٢٦٤	٧٧١٥
١٩٣٩ / ٣٨	٥٢٩٧	٦٧٥٤	٤٠٣٥	٢٤٨	٧٨٧٣	١٣٠٣	١٤١٧	١٣٤	٨٦	٣٨٢	٦٣٦	٤٧	٥٢٨	٧٩٧	٢٨٣٠٨	١٦	٥٤٥١	١٥٤٩٧	٧٣٤٤

(١) وزارة التعليم والتربية ، إدارة التخطيط والمتابعة ، دراسة تاريخية عن تطور التعليم فى ليبيا من العهد العثمانى إلى وقتنا الحاضر ، طرابلس ١٩٧٤م ، ص ١٦.

«من خلال الجدول السابق نلاحظ أن عدد التلاميذ المقيدين فى المدارس لا يقبله منصف يقارن بين التعليم الذى أتيح لأبناء المواطنين الليبيين والتعليم الذى اتيح للإيطاليين أو حتى اليهود.

كما نلاحظ أن عدد التلاميذ المنتمين إلى الجنسية الإيطالية الذين يدرسون فى المدارس الإيطالية أكبر من عدد التلاميذ العرب الذين ينتمون إلى مدارسهم ، وبخاصة إذا علمنا أن عدد الجالية الإيطالية أقل بكثير من عدد المواطنين الليبيين ، وهذا ينفى ما ادعاه الإيطاليون من أنهم جاءوا إلى ليبيا من أجل تمدين الشعب الليبى ، ولا يعنى هذا أن الليبيين غير مهتمين بتعليم أبنائهم ولكن القيود التى وضعتها السلطات الإيطالية منعت الكثير من الليبيين من الحاق أبنائهم بالمدارس التى يشرف عليها الإيطاليون خوفاً من أن يتأثر أبناؤهم بالعادات والتقاليد والديانة التى تختلف تماماً عن عقيدة المواطنين الليبيين»[1].

ولكى تكون الصورة واضحة بالنسبة للفرص التعليمية التى أتيحت للطلاب العرب الليبيين فإننا نسوق الجدولين التاليين :

جدول رقم (٢٠)[2]

السنة الدراسية	عرب	نسبة	أجانب	نسبة
٢١ – ١٩٢٢	٢٥٥٩	٤٤ ٪	٣٢٤٧	٥٦ ٪
٢٥ – ١٩٢٦	٧٣٩٦	٥٦ ٪	٥٧٣٢	٤٤ ٪
٣٠ – ١٩٣١	٩٩٤٢	٦٣ ٪	٥٩٣٦	٣٧ ٪
٣٤ – ١٩٣٥	١٦٢٤٦	٥٧ ٪	١٢٣٨٩	٤٣ ٪
٣٨ – ١٩٣٩	١٥٤٩٧	٥٥ ٪	١٢٨١١	٤٥ ٪

(١) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

(٢) وزارة التعليم والتربية ، إدارة التخطيط والمتابعة ، دراسة تاريخية عن تطور التعليم فى ليبيا من العهد العثمانى

جدول رقم (٢١)

يوضح نسبة عدد الطلاب العرب والأجانب فى جميع المراحل النظامية

(فيما عدا التعليم الأهلى للتلاميذ العرب)[١]

السنة الدراسية	عرب	نسبة	أجانب	نسبة	جملة
٢١ – ١٩٢٢	٧٦٧	١٩ ٪	٣٢٤٩	٨١ ٪	٤٠١٦
٢٥ – ١٩٢٦	١٨٢٦	٣٦ ٪	٥٧٣٢	٦٤ ٪	٧٥٥٨
٣٠ – ١٩٣١	٤٣٨٧	٤٢ ٪	٥٩٣٦	٥٨ ٪	١٠٣٢٣
٣٤ – ١٩٣٥	٦٣٨٢	٣٤ ٪	١٢٣٨٩	٦٦ ٪	١٨٧٧١
٣٨ – ١٩٣٩	٧٥٢٤	٣٧ ٪	١٢٨١١	٦٣ ٪	٢٠٣٣٥

ولعله يتضح لنا من خلال هذين الجدولين كثرة الفرص التعليمية التى وفرها الإستعمار الإيطالى الفاشستى لأبناء الأجانب فى الوقت الذى حرم أبناء الوطن الحقيقيين من هذه الفرص التعليمية.

الإشراف على التعليم أثناء الحكم الإستعمارى الإيطالى فى ليبيا :

ولكى تكون الصورة واضحة وكاملة عن التعليم فى هذا العهد لابد أن نتحدث عن الإشراف على التعليم أبان الحكم الإستعمارى الإيطالى فى ليبيا.

فمن المعروف أن الإدارة التعليمية فى ظل الإحتلال الإيطالى كانت تسير بوحى عقليته الإستعمارية ، وبطبيعة الحال لا يمكن أن تفكر هذه العقلية فيما يعود بالخير على البلاد بالقدر الذى لا يتعارض فيه الإصلاح والتطور مع المصالح الإستعمارية الحاكمة ، ومن هنا يمكن القول أن فلسفة الإدارة التعليمية فى ذلك الوقت كانت تسير بوحى من المستعمرين ومصالحهم ، ولذلك فقد أصبح التعليم فى ليبيا بعد الإحتلال الإيطالى الإستعمارى تابعا لوزارة الحرب الإيطالية فى روما وبهذه التبعية أصبح التعليم يسير فى

(١) نفس المرجع السابق ص ١٦ .

الخط الذى تراه سلطات الإحتلال العسكرى الإيطالى دون النظر فى المبادئ التربوية والإنسانية المرتبطة بالتعليم.

وقد قررت وزارة المستعمرات الإيطالية بعد معاهدة لوزان فى أكتوبر ١٩١٢م إجراء دراسة عن التعليم فى ليبيا من أجل التعرف على وجهات النظر بالنسبة للمواطنين العرب الليبيين ، وقد كان من نتائج هذه الدراسة صدور مرسوم ملكى إيطالى رقم (٥٦) فى ١٥ يناير عام ١٩١٤م الذى ينص على ما يلى :

١- إنشاء مدارس عربية إيطالية تلحق إدارتها بوزارة المعارف ووزارة المستعمرات الإيطالية فى روما وهذه المدارس ابتدائية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات.

٢- أن يكون منهج الدراسة بهذه المدارس مشتملاً على المواد الآتية :

اللغة العربية – اللغة الإيطالية – الحساب الأولى (المبادئ الأولية فى الحساب) ومعلومات أولية عن الزراعة – والأناشيد والمحفوظات – ومعلومات عامة عن إيطاليا وأفريقيا ومبادئ عامة فى الصحة والتربية البدنية.

٣- لاحظت سلطات الإحتلال الإيطالى انصراف الأهالى عن هذه المدارس لعدم اطمئنانهم إلى ذلك النوع من التعليم الذى كانت توفره لهم ، ولم يلمسوا أهميته فى حياتهم.

ولعل ذلك يرجع إلى أسباب كثيرة من أهمها :

الشك فى أهداف التعليم فى ذلك الوقت ، وعدم التعامل مع الإيطاليين والخوف على أبنائهم من تأثرهم بمبادئ وأخلاق لا يرضى عنها الآباء.

ولذلك انصرف كثير من المواطنين بأبنائهم إلى الكتاتيب والمساجد والمدارس القرآنية. ، وحينما لاحظت إيطاليا ذلك من جانب الأهالى استصدرت مرسوماً ملكياً رقم (٢٥٠) عام ١٩١٥م للسيطرة على الكتاتيب والمدارس القرآنية ، ونص على ما يلى :

١- تنظيم الكتاتيب وصرف مكافآت مالية للفقهاء معلمى الكتاتيب من الأوقاف ، ومن خزينة المستعمرة.

٢- تصرف الأموال على هذه الكتاتيب إذا توافرت فيها الشروط الآتية :

أ- أن يتجاوز عدد التلاميذ فى الكتاب الواحد خمسة وعشرين تلميذاً تتراوح أعمارهم بين ٥ : ١٤ سنة.

ب- أن يتضمن برنامج الكتاب مقررات فى اللغة العربية ، ومبادئ الرياضيات إلى جانب المقررات الدينية.

جـ- أن يخضع الكتاب لرقابة المفتش الإيطالى ومتابعته له ،[١] .

وبذلك أخضع الإستعمار الإيطالى جميع النشاط التعليمى لرقابته بقصد التأثير فى حياة الناس وتوجيهها لمصلحة الإستعمار ، لا من أجل تقدم المستعمرين فى المستعمرة أو تمدينهم كما أدعت ايطاليا بأنها جاءت إلى ليبيا من أجل تمدين الشعب الليبى وتقدمه، وكل نشاط تعليمى توفره سلطات استعمارية يهدف بالدرجة الأولى إلى تمكين هذه السلطات من رقاب الناس والسيطرة على مقدراتهم.

، وفى ١١ مارس عام ١٩١٩م صدر مرسوم ملكى برقم (٤٦٩) تضمن القانونين الأساسيين اللذين وضعا لطرابلس وبرقه ، اللذين منحا بعض الحقوق للمواطنين من أهمها :

١- فصل إدارة التعليم فى ليبيا عن وزارة الحرب والمستعمرات ، ووزارة المعارف الإيطالية وإنشاء إدارة محلية للتعليم فى ليبيا لتكون حرة فى توجيه التعليم توجيهاً استعمارياً مباشراً ، بالإضافة إلى تشكيل لجنة استشارية تعليمية من شخصيات عربية تثق بها إيطاليا.

٢- تأمين حرية التعليم لليبيين وجعل التعليم الإبتدائى الزاميا للبنين.

٣- احترام تعليم العقيدة الإسلامية وإعادة الزوايا والكتاتيب.

٤- استخدام اللغة العربية فى التعليم وتدريس اللغة الإيطالية بعد الفرقة الثالثة الإبتدائية.

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ، ١٧.

٥- حرمان مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية من المساعدات المالية الحكومية واعتمادها فقط على أوقافها الخاصة ،[١] .

وبالرغم من هذه الحقوق التى جاءت فى هذا المرسوم فإنها لم تأخذ طريقها للوجود الحقيقى ولم تمارس من قبل أهل البلاد.

،وفى نهاية العام الدراسى ١٩١٩ - ١٩٢٠م وصل إلى طرابلس المدير الذى كلف بالإشراف على التعليم والذى أصبح يتلقى تعليماته من الحاكم العام الإيطالى فى طرابلس بعد أن تم تنظيم المدارس الإيطالية والمدارس العربية.

وهكذا يتضح أن الإستعمار الإيطالى كان يشرف على التعليم بنفسه وينفذ سياسته التعليمية التى يهدف من ورائها إلى محو عروبة الشعب الليبى والقضاء على ثقافته الإسلامية.

والدليل على ذلك أن جميع وظائف التعليم خلال العهد الإيطالى كانت مقصورة على الإيطاليين وحدهم ، فقد كان مدير المدرسة إيطاليا والمفتش إيطاليا والذى يضع المنهج الدراسى إيطاليا ، والمدرس الإيطالى يعتبر رئيساً للمدرس العربى ، إلى غير ذلك من الأدلة والشواهد التى تؤيد أن الإيطاليين لم يأتوا كما ادعوا لتمدين الشعب الليبى والتقدم به ، وإنما جاءوا لقهره واستغلاله وطلينة ثقافته ، كما أنه لم يكن هناك تعليم بالمعنى الصحيح لذلك لم يكن هناك أى نوع من أنواع الإدارة التعليمية طيلة العهد الإيطالى وإنما كانت هناك مدارس دينية متمثلة فى الكتاتيب التى كانت تدار من قبل اللذين يقومون بأمر المساجد أو الكتاب ، ويمكن أن نطلق على هذه الفترة ، فترة الجهود الفردية فى إدارة التعليم فى ليبيا،[٢] .

تأثر التعليم بالأوضاع السائدة فى عهد الإستعمار الإيطالى :

لقد عانت ليبيا ابان الإحتلال الإيطالى من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية سيئة. فمن الناحية السياسية تركزت السلطة كلها فى يد المستعمر عن طريق الموظفين الإيطاليين الذين عينوا فى المراكز الرئيسية بإدارات الحكومة ، وكان على الليبيين أن

(١) نفس المرجع السابق ، ص ١٧.

(٢) أحمد محمد القماطى ، تطور الإدارة التعليمية فى الجماهيرية العربية الليبية ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

يخضعوا خضوعاً تاما للإرادة الإيطالية ، حيث كانوا يعيشون من أجل الإيطاليين وكانت حياتهم فى جميع علاقاتها ومجالاتها ونشاطاتها تقرر حسب إرادة الحكام الإيطاليين. وقد مكنت هذه العوامل السلطات الإيطالية من توجيه ليبيا لخدمة مصالحها وأبقت الشعب الليبى فى حالة تخلف وتأخر.

ولكى تحكم سلطات الإحتلال قبضتها على التعليم وتضمن تحقيق أهدافها منه ، عمدت إلى تطبيق المركزية الشديدة فى إدارته وتمويله ، فكانت كل كبيرة وصغيرة يرجع فيها إلى إدارة المعارف التى يسيطر عليها الموظفون الإيطاليون ، وأصبح ناظر المدرسة مجرد واسطة لا يستطيع أن يتخذ أمراً مالياً أو إداريا أو فنيا إلا بالرجوع إلى إدارة التعليم.

لقد كانت الحركة الوطنية فى مقدمة القوى التى أثرت فى حياة المجتمع الليبى فى تلك الفترة بوجه عام وفى أوضاع التعليم بوجه خاص. فنتيجة للحرب الطاحنة التى قامت بين الإيطاليين والمجاهدين الليبيين توقفت جميع الجهود التعليمية التى بدأت فى عهد الحكم العثمانى توقفاً تاما ، وذلك بسبب إنشغال المواطنين بأمر الجهاد ، إلا أن الكتاتيب بقيت تؤدى دوراً تعليمياً محدوداً ، وحتى الزوايا السنوسية سرعان ما تعرضت للإهمال والتدهور نتيجة انصراف القائمين عليها إلى تنظيم حركة الجهاد ، وقد استمر هذا الوضع إلى أن استتب الأمر للإيطاليين بقضائهم على حركة المقاومة.

أما من حيث الناحية الإقتصادية فقد كان طبيعياً أن تنعكس هذه التبعية السياسية للإستعمار الإيطالى على اقتصاديات الشعب الليبى ، فقد عاشت ليبيا فى تلك الفترة تجربة مروعة استنزفت فيها كل امكانات البلاد الإقتصادية لصالح المستعمر ولصالح المهاجرين الإيطاليين الذين تمكنوا من السيطرة على أفضل الأراضى الزراعية. لقد استطاعت إيطاليا أن تحقق الكثير من الإنجازات فى مجال الزراعة حيث تم استصلاح الآلاف من الهكتارات الزراعية ، وزرع مئات الآلاف من الأشجار المثمرة وتوطين العائلات الإيطالية بالمزارع الجديدة المستصلحة بالإضافة إلى تقديم الإعانات الحكومية لقطاع الزراعة.

لا أحد ينكر أن الإيطاليين قاموا بجهود جبارة فى هذا المجال ، ولكن الذى يجب أن

يوضع فى الإعتبار أن كل هذه الإنجازات التى تم تحقيقها فى المجال الزراعى كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى المستوطنين الجدد ، أما أصحاب الأرض الحقيقيون فقد عانوا الكثير من جراء سياسة الإستيطان حيث سلبت أراضيهم وتم إبعادهم إلى الداخل حيث المناطق الأكثر جفافاً وأقل خصوبة. لقد ظل المزارعون مضطهدين ومعزولين عن الإصلاحات الحكومية ولم يختلف حالهم عما كانوا عليه أيام الحكم العثمانى.

وعلى النقيض من حياة جمهور الفلاحين والمزارعين كان المستوطنون الإيطاليون الذين يشكلون نسبة قليلة من السكان قد ازدهرت حياتهم إلى درجة كبيرة ، حيث استفادوا من فرص بيع الأراضى الزراعية لهم بسعر رمزى أو تفويضها بدون مقابل ، فقويت بذلك أوضاعهم المالية ومراكزهم الاجتماعية.

وما ينطبق على الزراعة ينطبق أيضاً على الصناعة حيث أصبحت الصناعة حكرا على المستوطنين الإيطاليين.

ونتيجة لهذه السياسة تم توجيه الإقتصاد الليبى لخدمة الإيطاليين ، وظل المجتمع الليبى يعانى من الفقر والتخلف والجهالة ، ومما لا شك فيه أن كل ذلك يرجع بالدرجة الأولى للسياسة الإيطالية التى كانت تهدف إلى شل حركة البلاد الإقتصادية ووضعها تحت السيطرة الإيطالية، ولعل هذا ليس بالأمر الغريب علينا فماذا كنا ننتظر من المستعمر الإيطالى غير ذلك.

بالتأكيد أن هذه الظروف الإقتصادية السيئة التى عاشها الشعب الليبى فى ظل الإحتلال الإيطالى قد أثرت فى تعليم أبنائه ، فهذه الظروف لم تساعدهم على الإلتفات إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس. ومن الأمور التى زادت من تدهور التعليم أن الليبيين قد أحجموا عن إرسال أولادهم إلى المدارس التى كان يشرف عليها الإحتلال لأنهم كانوا يعتقدون بأن تلك المدارس كانت تهدد نظام القيم السائدة فى حياتهم سواء فى الدين أو العادات ، وكانوا متشككين فى جدوى تلك المدارس ويعتقدون بأنها ليست فى صالح أولادهم لأنها تعزلهم عن دينهم ، وقد كان هذا الإعتقاد راسخاً فى عقولهم. ولذلك كانت الكتاتيب والمدارس الدينية أكثر قيمة لديهم من المدارس الحكومية الإيطالية. حيث كانت الكتاتيب ترتبط بالقيم المقدسة القديمة بينما ترتبط المدارس الحكومية بالقيم الأجنبية والنظم الغربية.

وهكذا نجد أنه من العوامل التى أعاقت تقدم التعليم فى تلك الفترة هى الظروف الإقتصادية السيئة الى أحاطت بالليبيين بالإضافة إلى الشعور بالريبة والشك فى جدوى المدارس الحكومية الإيطالية.

وعلى المستوى الإجتماعى فقد كانت هناك الفوارق الشاسعة بين عامة الليبيين من جانب والمهاجرين الإيطاليين وأعوانهم من الليبيين من جانب آخر ، فقد كان غالبية الليبيين يعملون فى الزراعة كإجراء مع الإيطاليين ، ومستوى المعيشة منخفض ، ومستوى الصحة العامة سيئاً ، ونسبة الوفيات عالية ، والبطالة منتشرة.

ومع هذا التناقض السياسى والإقتصادى والإجتماعى تذبذبت حركة التعليم هبوطاً وارتفاعاً وتأثرت الحياة الفكرية بالمناخ السياسى والإجتماعى تأثراً كبيراً ، ولذا تميز التعليم فى تلك الفترة بعدم الإستقرار وعاش حياة قلقة مليئة بالتغيرات والتعديلات دون فلسفة تربوية توجه التعليم.

ويمكن القول بأن أهم القرارات والقوانين التى صدرت فى تلك الفترة كانت تصدر لخدمة أهداف سياسية قبل أن تكون أهدافا تربوية خالصة.

فلسفة التعليم وأهدافه فى ظل الإحتلال الإيطالى :

لقد كان التعليم فى مقدمة النواحى والميادين التى تأثرت بالفلسفة الإستعمارية للإحتلال الإيطالى بدرجة ملموسة.

« عندما ينكب الإستعمار بلداً من البلدان ويصبح همه الأول أن يثبت أركانه ليضمن استمراره ويدعم وجوده بالعمل على استغلاله اقتصاديا وتجميده اجتماعيا وفكريا وجعله تابعا سياسياً ، فإن الخطر على وجوده لا يكون قد زال كليا إذا تركت مقدرات التعليم فيه بيد أبنائه ينشرونه ويوسعون فيه ، لأنه ما دام التعليم هو أداة صناعة المواطن ، فمن المؤكد أن يجد الإستعمار نفسه أمام شعب من الرجال من لا يطيقون صبراً بما عليه من استغلال وجمود وتبعية فينقلبون عليه شر انقلاب معيدين لبلادهم حقها فى الإستقلال والحرية والتقدم. من هنا جعل الإستعمار القبض على شئون التربية والتعليم قريناً للوجود العسكرى والتحكم الإقتصادى حتى يتمكن من تضييق فرصه أمام أبناء البلاد ، وبحكم

السيطرة والإستغلال والنهب ، وقد اتخذت هذه السياسة مظاهر شتى ، فمن قبض اليد على الإنفاق على التعليم ، إلى فرض المصروفات المدرسية وإلى التشديد فى الإمتحانات وغيرها ،[١] . لقد اتجهت إيطاليا إلى سياسة تجميع السلطة فى قبضتها بكافة الوسائل (خاصة بعد أن جاء الحزب الفاشى إلى الحكم سنة ١٩٢٢م) رغبة منها فى توجيه الأمور نحو تحقيق مصالحها ومطالبها وخطتها الإستعمارية. لذلك حرصت منذ احتلالها لليبيا على نشر اللغة الإيطالية ومن ثم تغلغل الثقافة الإيطالية بين أفراد الشعب لتحل محل الثقافة العربية الإسلامية وبالتالى القضاء على القومية وخنق الروح الوطنية لدى الليبيين. وقد عبر عن هذه السياسة أحد السياسيين الإيطاليين بقوله : « لقد امتلكنا مستعمرة فقيرة فقراً واضحاً وليست من سياستنا استبدال الوطنيين بالطليان ، ولكن جعل الوطنيين يندمجون فى خططنا الإقتصادية ، وبالنسبة للمدارس فيجب أن نصل إلى الأسرة من خلال التلاميذ ويجب أن نتخلخل القبائل بالتعليم »[٢] . ولتحقيق ذلك فقد فرضت إيطاليا نفس المنهج المتبع فى المدارس الإيطالية سواء كان ذلك فى البناء التنظيمى أو حتى فى جميع تفاصيل المنهج وأساليب الإمتحانات المدرسية ، وأن لغة التدريس كانت الإيطالية وتضمنت المناهج تدريس الأدب الإيطالى والشعر الإيطالى والتاريخ الإيطالى وحتى جغرافية إيطاليا.

« لقد كانت المدارس الحكومية الإيطالية متسمة بالقومية على نحو كبير ، وكان الغرض المهيمن للتعليم الحكومى طلينة السكان الوطنيين وتحضيرهم طبقا للمبادئ الإيطالية والفاشية »[٣] . وعندما شعر الآباء بخطورة هذا النوع من التعليم على أبنائهم ، سحبوهم من المدارس الحكومية ، وكان لهذا تأثيره الكبيرة على تعليم أفراد الشعب الليبى.

كان غرض الإحتلال من التعليم هو إعداد طبقة من موظفى الحكومة الذين يدينون له بالولاء والطاعة ، ولذا ارتبط التعليم بغاية نفعية محدودة وهى تخريج الموظفين ، وكان ارتباط التعليم بسياسة أعداد الموظفين للوظائف الصغيرة يعنى أن التعليم يكون

---

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف).

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف).

(٣) سعيد اسماعيل على ، تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، عالم الكتب القاهرة ، ص ٤٢٣ و ٤٢٤.

وفقاً لحاجة الحكومة إلى الموظف وليس وفقاً لحاجة الناس للتعليم. ومع أن التقاليد الإيطالية فى التعليم كانت تؤكد الإتجاه الليبرالى فى التربية ، وتهدف إلى تكوين الشخصية وحرية الرأى والإيجابية وترفض ربط التعليم بغاية نفعية.

فإن سلطات الإحتلال فى ليبيا أخذت تتأمر على ما من شأنه تنمية هذه الجوانب أو تعزيزها ، وأقامت سياستها من أول الأمر على مناهضة التعليم وطبعة بطابع التسلط وتقييد الحريات والسلبية الكاملة من جانب المتعلم. وقد ترتب على هذه النظرة المحدودة للتعليم أسواء النتائج بالنسبة للفرد والمجتمع حيث أصبح هناك ربط مباشر بين التعليم فى المدرسة والوظيفة الحكومية ، واستقر فى الأذهان أن المدرسة طريق إلى المكتب لا أكثر.

لما كانت مصادر القوة فى ليبيا من وجهة نظر الإحتلال هى التعليم ، فإن مصلحة الإحتلال الإيطالى كانت فى مقاومة التعليم الحديث فى ليبيا وعدم تشجيعه حتى لا تتاح للشعب الليبى القدرة على التزود بأساليب القوة ويبقى مرتبطاً بعجلة الإستعمار ومعتمداً عليه كل الإعتماد فى اقتصادياته. وكان فى ليبيا وقتئذ نوعان من التعليم ، الأول هو الكتاتيب والمدارس الدينية ، والثانى هو المدارس الحديثة من ابتدائى وثانوى. وقد رسم الإحتلال سياسته التعليمية على أساس أن لا خطر من علوم الدين ومن ثم أباحوا هذا النوع من التعليم ، وأن الخطر فى العلوم الحديثة فحددوا فرصها وضيقوا دائرتها على المواطنين. كما عملت سلطات الإحتلال على تضيق فرص التعليم الفنى حتى لا ينافس خريجوه الأفواج المتدفقة من المهاجرين الإيطاليين على ليبيا.

نظر الإيطاليون إلى التعليم باعتباره من الكماليات ، وإذا كان هناك ما يبرر توفير نوع رخيص من التعليم الأولى للفرد العادى ، فليس من الحكمة فى نظرهم أن يتعلم كل فرد فى مراحل التعليم فوق الإبتدائى. وبالتالى أصبح التعليم ما فوق الإبتدائى محصورا فى عدد قليل من أبناء المتعاونين مع المستعمر.

تمشيا مع فلسفة الإحتلال حرصت إيطاليا على وضع التعليم الدينى تحت إشرافها ، واعتمدت على الكتاتب القديمة لأنها وجدت من اليسير توفير نوع رخيص من التعليم فى هذه الكتاتيب وبمساعدة مالية ضئيلة من الحكومة ، كما أدركت سلطات الإحتلال

أن عنايتها بهذا النوع من التعليم سيكون وسيلة لتهدئة الخواطر وإيهام الناس بأنها تنشر التعليم وتيسره للفقراء.

إن التعليم الذى أوجده الإحتلال الإيطالى ، تعليم فى منتهى الخطورة لأنه كان يرمى إلى طلينة العقول بإخضاع التلميذ الليبى إلى نفس البرامج والقوانين التى كان يخضع لها التلميذ الإيطالى ، إذ يتلقى التعليم بلغة قومه ، ويدرس جغرافية وتاريخ بلاده بحيث يمتلئ عقل الليبى بتاريخ إيطاليا وسير زعمائها ووقائعها من عهد « غار بلدى » (لعب دوراً كبيراً فى توحيد إيطاليا) إلى تاريخ « موسولينى » ، وما يتبع ذلك من جزئيات وتفاصيل حتى أسماء الأودية والإنهار ، والحوادث البسيطة.

وقد كانت النتيجة أعراض بعض الليبيين عن ما هو قومى لا من التعليم فحسب ، بل حتى التمازج مع إخوانهم فى الوطن والجنس ، وهكذا ولدت بعض النفوس المريضة التى تطعن فى مقوماتها الذاتية وتعتز بالإيطاليين وترتمى فى أحضانهم.

لقد أقام الإحتلال الإيطالى التعليم بليبيا على العنصرين السابقين ، عنصر التعليم الدينى الذى وقف فى وجه الإستعمار وقاوم طلينة الأمة ، ولكنه ظل متمسكا بالماضى ، وعنصر التعليم الإيطالى الأوروبى بطابعه الإستعمارى الذى أدى إلى الطلينة بالفعل وجعل من بعض المواطنين أقواماً يثقون بإيطاليا الوثوق الأعمى ويؤمنون بأنها لا تغلب وأن مصلحة البلاد فى بقائها ووجودها.

هذه هى الحالة التى كان عليها التعليم فى هذا العهد ، وهى تمثل خطراً كان يهدد البلاد فضلا عن بقاء العدد الكبير من الأطفال والشباب خارج مقاعد التعليم.

الخلاصـــة :

فى ختام حديثنا عن التعليم فى عهد الاحتلال الايطالى يمكن أن نستخلص الملامح الرئيسية الآتية :

أتضح من هذا الفصل كيف أن المناخ الفكرى والأوضاع الاقتصادية والسياسية التى أوجدها الاستعمار الايطالى وخاصة أثناء حكم الحزب الفاشى قد أثر بالسلب فى النواحى التعليمية على النحو التالى :

- قصر اليد على الانفاق على التعليم ، وفرض مصروفات مدرسية عالية على التلاميذ وأولياء أمورهم.
- تجميع السلطة التعليمية فى قبضة المستعمر.
- نشر اللغة الايطالية وتغلغل الثقافة الايطالية بين أفراد الشعب الليبى.
- فرض المنهج الايطالى على المدارس فى ليبيا.
- طلينة السكان الوطنيين.
- أحجام الكثير من الليبيين عن تعليم أبنائهم بالمدارس التى يشرف عليها الايطاليون لأنهم كانوا يعتقدون بأن تلك المدارس كانت تهدد نظام القيم الأساسية السائدة فى حياتهم سواء فى الدين أو العادات ، وكانوا يشكون فى جدوى تلك المدارس ويعتقدون بأنها ليست فى صالح أبنائهم لأنها تعزلهم عن دينهم.
- تميز النظام التعليمى بأنه تقليدياً أستبدادياً وجامداً ، كما أنه لم يكن له أى إرتباط بحاجات البلد سواء من ناحية عدد الخريجين أو تخصصاتهم.
- وضع التعليم الوطنى الدينى تحت إشراف المحتل.
- ومع ذلك كان للقوى الوطنية وللتعليم الوطنى هذه المواقف.

- على الرغم من كل الجهود التى بذلتها ايطاليا للقضاء على اللغة العربية والثقافة العربية إلا إنها لم تنهزما أما اللغة الايطالية والثقافية الايطالية.

- بقيت الأماكن النائية فى القطر الليبى متمسكة بالتعليم الدينى الوطنى.

- إنشاء مدرسة إسلامية عليا فى طرابلس سنة ١٩٣٦م.

- فرض المواطنون على المستعمر إحترام العقيدة الإسلامية وفرض تدريسها بالمدارس وتخصيص ميزانية خاصة بالكتاتيب والزوايا.

- على الرغم من وضع المدارس أبان الاحتلال الايطالى ، إلا أن تلك المدارس خرجت مجموعة من أصحاب المهن المختلفة ومجموعات من الموظفين الأكفاء والمثقفين الذين كانوا يؤيدون الإصلاح والتقدم ، وبالرغم من الحكم الايطالى وسيطرته على البلاد فقد تكون فى تلك المدارس النواة لتلك المجموعات من الاخصائيين والمثقفين ، وقد لعب عدد كبير من خريجى تلك المدارس دوراً بارزاً فى التغير السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى اجتاح البلاد بعد جلاء الايطاليين عن البلاد.